



# مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

ذو الحجة 1441 هـ - أغسطس 2020

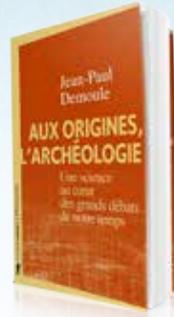
## الصفحة الأولى...

### هلال الحجري

من الشعراء الذين نظموا قصائدهم حول العرب صموئيل لوفر Samuel Lover (1797-1868) وهو شاعر، وروائي، وكاتب مسرحي، ورسام، وكاتب أغان إيرلندي. كان غزير الإنتاج في هذه المجالات الإبداعية، وقد شهد له النقاد بالعبقرية والتميز فيها، إضافة إلى أنه انتصر في أغانيه وبورتريهاته لطبقة الفلاحين والفقراء في إيرلندا. قصيدته «العربي» ذيها هذه الفقرة التي جاءت في حاشية الديوان: «هذه الأغنية القصصية وقعت حقيقة، للسيد ديفيدسون، الرحالة الشهير، بين جبل سيناء والسويس، أثناء عودته إلى الصحراء من الهند سنة 1839. وقد روى القصة لي قبل وقت قصير من مغادرته إنجلترا».

(العربي)

حَمَارَةُ القَيْظِ ظَهَرًا فِي الفَلَا اشْتَعَلَتْ،  
وراحل وَصَلَ البَيْتُ الذي رَغَبًا  
لكنه أَمَلُ سَلَاة، كان سُدَى  
من يَأْمَلُ القَفْرَ والماءَ الذي ذَهَبًا؟!  
وإذ دعا الله مُغْمَى لا حَرَكَ به  
أتاه من عَرَفَ الصحراءَ والعَرَبَا  
ما خِيبَ الراحِلَ المِسْكِينِ فِي أَمَلِ،  
وبارك الله، في قَرَبَاتِهِ جَلَبَا  
«اشْرَبْ!» فَرَعَمَ رَحِيلِي فِي بَدَايَتِهِ  
وإنني صائِمُ أفدي الذي سَعَبَا  
ومَوْطِنِي وعِيَالِي لا أطولُهُمُ  
أسقيكَ ماءً زَلَالًا يُطْفِئُ الوَصْبَا  
«كَلَّا»، ودَعْنِي أقضي هاهنا أَجَلِي  
لديكَ أَحوجُ مِنِّي، قال من تَعَبَا  
لديكَ ذَرِيَّةٌ تَرجو لِقَاكَ غَدًا  
وإنني واحدٌ، لا طفلَ لا نَسَبَا  
«اشْرَبْ!» ولا تَخَشْ إنني راجِعُ أَبَدًا  
ذَرِيَّتِي آلَفْتَنِي فِي الرَحِيلِ أَبَا  
ومَنْ أتى اليَوْمَ بي يُنجيك من عَطَشِ  
سيجعلُ الدَرْبَ لي فِي البِيدِ مُرْتَقِبًا



• جذور علم الآثار بين العلم والأيدولوجيا  
• جان بول ديمول



• مهمة فاشلة هزيمة الغرب في أفغانستان  
• غاستون بريتشيا



• مدارك المسلمين...  
• كاميلادانج  
• زابين شميدتكة



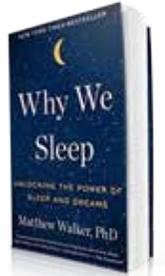
• الخلق والفوضى  
• جورجيو أجامبن



• تعرية الكلمات  
• كريستيان يونغه



• أشياء سوفيتية  
• أليكساندر أرخبوفا  
• آنا كيرزيوك



• لماذا ننام؟  
• ماثيو ولكر



• فن الأسفار المقدسة الضائع  
• كارن آرمسترونج



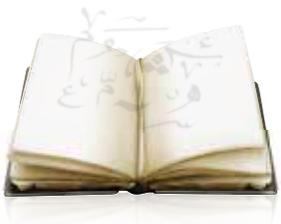
• الهاوية: المخاطر الوجودية ومستقبل الإنسانية  
• توبي أورد



• السياسة والأنطولوجيا والمعرفة عند إسبينوزا  
• ألكسندر ماثرون

## إصدارات عالمية جديدة





## مدارك المسلمين للتوراة وأنماط تلقيهم لها كاميلا أدانج وزابين شميديته

مُحمَّد الشيخ \*

أنتج مفكرو الإسلام -فقهاء ومؤرخين ومتكلمين- عشرات النصوص عن التوراة العبرية؛ وذلك على امتداد حوالي أربعة عشر قرناً. ترى، كم أنتجوا هم من نصوص على وجه التدقيق؟ وما هي السمات العامة التي ميزت إنتاجهم؟ وكيف كانت مختلف اتجاهاتهم في ما أنتجوه؟ يسعى هذا الكتاب إلى الإجابة عن هذه التساؤلات. ومداره، حسب ما تسميه المؤلفتان على أمرين اثنين: «مدارك» المسلمين للتوراة، و«استمالاتهم» لها.

بعينها سرعان ما راجت بينهم رواجها وتكاد تكون هي عينها عندهم أجمعين يستنسخ اللاحق منهم السابق. وعادة ما دار هذا الجدل على أمور جوهرية: النسخ والتحريف. فأما النسخ، فهو نسخ القرآن لما سبقه من كتب الأولين، وأما التحريف، فيشمل أموراً أساسية منها تحريف بعض من شريعة موسى، والتستر على نصوص نبوة محمد في التوراة.

**لمحة عن مسار الاهتمام بالتوراة لدى علماء الإسلام**  
في هذا الكتاب مفهومة هي «التوراة» بأوسع معنى يكون: التوراة العبرية -العهد القديم- كما العهد الجديد، مع التركيز على العهد القديم. ومجمل دعوى المسلمين في مداركهم هذه يقوم على مفارقة: يعتبرون أن الوحي القديم قد تم تحريفه، وأن القرآن -بما هو خاتم الرسالات- قد ألغى ما قبله بما في ذلك التوراة. لكن، بما أن التوراة مصدره إلهي، فإنهم في الوقت نفسه يُجلّونه، ومن شأن التشكيك فيه الكفر بالوحي الإلهي. والمرجع في هذا الموقف القرآن نفسه: التوراة المذكور في القرآن لفظاً ثمانية عشر مرة، وبالمعنى مرات أخرى؛ شأن الإشارة إلى «صحف موسى» واسم «التوراة» في العربية مشتق من لفظ Torah العبري الذي يعني «القانون» أو «الناموس» رغم أن بعض المسلمين حاول رد اللفظ إلى الجذر العربي «و-ر-ي» بمعنى أشعل النار، في إشارة إلى «النور» المذكور أنه في التوراة، وقد اعترض عليه مفسرون مسلمون كالرازي والزمخشري. وامتدت التسمية لتشمل تعاليم التوراة وشروحه الشفاهية. ويتهم القرآن اليهود المرار العدة بأنهم حرفوا كلام الله عن قصد وكتبا أشياء بيديهم وقالوا من عند الله ولبسوا الحق بالباطل وكتبوا الحق وأخفوا كثيراً منه ولووا ألسنتهم بالكتاب ليحسبه المؤمنون أنه من الكتاب وما هو من الكتاب... وكل هذه الآيات تجمع على إنكار اليهود لنبوة محمد المفترض أنها مذكورة في كتب اليهود المقدسة. وبما أن القرآن لا يعلن من حُرف التوراة وأين وكيف، فإن بعض المؤلفين نسبوا ذلك إلى عزيز. وأهم من يمثل القول بالتحريف في صورته المكتملة ابن حزم (ت. ٤٦٥ هـ). وقد دعمه في ما مال إليه يهود أسلموا شأن عبدالحق الإسلامي (كتب كتابه حوالي ٧٩٧ هـ) والسموأل المغربي (ت. ٥٧٠ هـ)، وأهم ما حُرف اليهود، حسب هذا الطرح، الإحالات التوراتية على النبي محمد، كما ألغوا بعض أحكام التوراة مثل الرجم.

ولا نملك طيلة القرون الأولى من الإسلام أعمالاً سجالية

وفضل هذا الكتاب الثاني أنه كتاب تفكيكي، وذلك بداليتين؛ أولى: هي أن صاحبي المؤلف لم ترتضيا بأن تسلكا طريقاً مبدولاً، وإنما سعوا إلى كسر التقليد السائد في معظم العالم العربي -وهو التقليد السني في النظر إلى التوراة- فانفتحتا على التقليد الشيعي: الإثني عشري والإسماعيلي والزيدي.. كما ركزتا على التراث المعتزلي (القاضي عبدالجبار، الحسين البصري، ابن خلدان...) وعلى التراث الزيدي سواء تعلق الأمر بزيدية إيران (الإمام المؤيد بالله، أبو عبدالله الجرجاني...) أو بزيدية اليمن (حسام الدين الرصاص، وابنه أحمد الرصاص وتلامذته...).

وبدلالة ثانية؛ وهي أن المؤلفتين لم تكتفيا بعرض وجهة نظر المسلمين انتصاراً للقرآن، وباستقبالهم للتوراة ونقدها، وإنما أشارتا أيضاً إلى ما يزرخ به التراث اليهودي العربي؛ سواء بالشرق أو بالمغرب (ابن ميمون، ابن عديث) من الرد على المسلمين في اتهام كتاب اليهود بأمرين: أنه منسوخ بالقرآن، وأنه تم تحريفه. فكان أن أوردتا بعض الردود على الردود: الربيع شلومو بن عديث (ت-١٣١٠م) وردده على ابن حزم في رده بدوره على ابن النغيلة اليهودي.

### أغراض أنظار المسلمين في التوراة

استعمل علماء الإسلام التوراة لأغراض مختلفة وباستعمالات متباينة، دون وعي منهم بما تعتبره الباحثة أدانج «تناقضات داخلية». وهكذا، تراهم، من جهة يعودون بانتظام إلى المظان التوراتية باعتبارها مصادرهم الأولى عن الحقبة ما قبل الإسلامية عندما يناقشون نشأة بني إسرائيل وتاريخهم وبعثة الأنبياء السابقين على النبي محمد. ومن جهة أخرى، اهتم علماء الإسلام المجادلون ضد اليهود والنصارى أساساً، بما اعتبر نبوة بيعة محمد النبي العربي وبيدته في التوراة، كما اهتموا بما عدوه «تناقضات» تضمنها التوراة وحالات نسخ داخلي وبداء. وما ترتب عن تعدد هذه الأغراض إنما هو وجود «مداخل» عدة لعلماء الإسلام إلى الكتب المقدسة:

١- المدخل التاريخي: عادة ما عمد المؤرخون المبكرون إلى نقل مقاطع كبرى من مجمل كتب التوراة بالحرف، أو على الأقل نقلوا فحواها.  
٢- المدخل الجدلي: أما أولئك الذين انخرطوا في الجدل الديني وفي الدفاع عن العقيدة الإسلامية، فقد كانوا يؤوبون إلى مظان

وفضل هذا الكتاب الأول أنه كتاب «جامع» وذلك بمعنيين: المعنى الأول، وهو أنه، حسب علمي، لا وجود لكتاب جمع أشتات ما تناثر في موضوع ما يمكن أن نسميه: «التروايات الإسلامية» -أي كل ما كُتب عن التوراة في الثقافة الإسلامية- بحيث ضمَّ هذا القدر الهائل من «الدراسات» والنصوص الإسلامية في التوراة والتلقيات الإسلامية لهذا النص المقدس. وإذا ساغ لنا أن نتخذ معلمتين في هذا المجال -مبتدى ومنتهى- لقلنا إنه كان ينبغي أن يعنون هذا الكتاب بالعنوان الجامع التالي: جوامع مدارك المسلمين للتوراة وتلقيهم لها: من ابن ربن (توفي بعد ٢٥٣ هـ)، وهو صاحب الكتاب المؤسس «الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد» إلى عبدالسلام عبدالعالم (العهد العثماني) صاحب رسالة «إلزام اليهود في ما زعموا في التوراة من قبل علم الكلام»؛ وذلك على امتداد العصر الكلاسيكي الإسلامي إلى العهد العثماني الحديث.

و«جامع» بمعنى ثان، وهو أنه جمع ما تفرق من كتابات هاتين الباحثتين المهتمتين بالتراث الإسلامي -كلاماً وفلسفةً وتصوفاً- في تضاعيف كتب من تأليف جماعي وفي متون مجلات نشرت في مختلف المنابر بشتى البلدان (أمريكا، هولندا، إيطاليا، ألمانيا، فرنسا، إنجلترا وإسرائيل...) بعضها بات يتعدى على الباحثين العرب الولوج إليه. الباحثة الأولى هي الهولندية كاميلا أدانج (١٩٦٠-) المهتمة بالفكر الأندلسي، وعاشقة مفكر طوق الحمامة ابن حزم خاصة، وبالجدل بين الأديان، ويعلم الكلام العقلي، صاحبة كتاب «الكتاب المسلمون عن اليهودية والتوراة العبرانية: من ابن ربن إلى ابن حزم» (١٩٩٦)، وكتاب «عقلانية مشتركة: المذهب الاعتزالي في الإسلام واليهودية» (٢٠٠٧)، وكتاب «ابن حزم القرطبي: حياة وأعمال مفكر مثير للجدل» (٢٠١٢). والباحثة الثانية هي الباحثة الألمانية زابين شميديته أستاذة التاريخ الفكري الإسلامي بجامعة برنستون، وصاحبة كتاب «علم الكلام عند العلامة الحلي» (١٩٩١)، وكتاب «التوراة في منظور علماء الإسلام» (٢٠١٣)، وكتاب «المعين في علم الكلام الإسلامي» (٢٠١٦). وكما يلاحظ القارئ، فإن كلتا الباحثتين متمرسة في التراث العربي اليهودي. كما يلاحظ أن واحدة مهتمة بالتراث السني، والأخرى بالتراث الشيعي. وكتاهما متمرنة على العمل المشترك مع باحث آخر أو مع جماعة باحثين. فقد اختلفت بهذا كل عناصر كتاب المعنى.



يلعبوا بورقة التحريف، أن قابلية الترجمة دليل على علو كعب القرآن المعجز لغة على التوراة غير المعجز لغة. وكان أن أجابهم القرقيساني أن كون القرآن لا يوجد إلا بلسان واحد إنما «يضعف» القرآن لا التوراة؛ لأنهم وحدهم من يملكون اللسان العربي يقدر على أن يدركوا إعجازه.

## نصوص محققة جديدة وجمع نصوص أخرى

شكل هذا الكتاب منجماً غنياً من النصوص العربية حول التوراة. وقد أعادت زابين شميدتة نشر مقاطع من «أعلام» أو «دلائل» النبوة لابن قتيبة» (نسخة مكتبة الأسد الوحيدة) محققة ومقابلة مع نسخ ونقول منها. كما نشرت أدانج ما عثرت عليه كاملاً مما حفظ في كتاب الحمصي (المنقذ من التقليد) من مقاطع نقلها أبو الحسين البصري المعتزلي في الكتاب الضائع «غمر الأدلة» عن ابن ربن الطبري (كتاب الدين والدولة) تخص «شهادات» توراتية عن بعثة نبي الإسلام. وحققت المؤلفتان بالاشتراك نصي ابن خلاد البصري صاحب كتاب الأصول الضائع: (باب الكلام على اليهود) و(باب الكلام على اليهود في امتناعهم من نسخ الشرائع). وفي ما يخص زبديرة إيران حققت شميدتة نص الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين «باب ما وجد في الكتب المتقدمة من البشارات بالنبي صلى الله عليه وعلى آله» صاحب «كتاب إثبات نبوة النبي» ونص الزبيدي المعتزلي أبي عبدالله الجرجاني تلميذ القاضي عبدالجبار المعتزلي «فصل فيما وجد في الكتب السالفة من البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وعلى آله» صاحب كتاب الإحاطة. كما حققت شميدتة، في ما يخص زبديرة اليمين، نص الرصاص صاحب كتاب التحصيل عن البشارات بالنبي عليه السلام، ونصوص ابنه أحمد الرصاص وبعض تلامذته. وحققت زابين شميدتة الرسالة الهادية لعبد السلام المهدي المحمدي. وحققت الباحثتان معا رسالة طاش كبرى زاده «رسالة في الرد على اليهود». وحققت شميدتة رسالة «إلزام اليهود في ما زعموا في التوراة من قبل علم الكلام» للسلام عبدالعالم. ولم تقتصر الباحثتان على ذلك، بل نقلتا الكثير من هذه النصوص إلى اللسان الإنجليزي... هذا فضلاً عن نصوص مشتتة أعيد تجميعها ونشرها في هذا الكتاب.

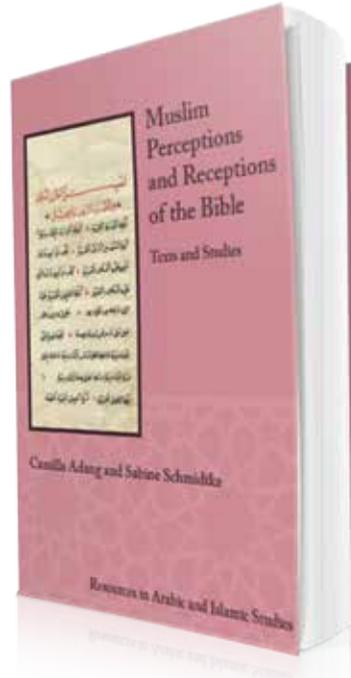
وختاماً.. هذا كتاب مهم من حيث التجميع -كتاب جامع- وتكسير التقليد -كتاب مُفَكِّكٌ. ولئن كان لهذا الكتاب ما يمكن أن يعاب به، فإنما هو، بالأولى، التكرار الذي اعتراه بحكم كونه عبارة عن تجميع لمقالات منبثة في ثنايا مؤلفات، لكنه مقابل ذلك قام بتحيين الببليوغرافيا، وهو ما يشفع له الشفاعة أكبرها.

• الكتاب: "مدارك المسلمين للتوراة وأنماط تلقيهم لها".

• المؤلفتان: كاميللا أدانج وزابين شميدتة.

• الناشر: لوكوود بريس، أتلنتا، جورجيا، 2019م.

\* أكاديمي مغربي



التوراة أو الإنجيل من اليهود أو النصارى ولا يأكل ثمنه صحيح بين لا إشكال فيه؛ لأن دين الإسلام ناسخ لجميع الأديان.

اعتقد المسلمون الذين آمنوا بأن اليهود يملكون التوراة الأصلي ويفسرونه التفسير الصحيح بأنه قد ذكر فيه: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ». لكن المفارقة أنه حتى الذين اعتقدوا أن التوراة محرقة عادوا إليها ليجتثوا عن ذكر نبي الإسلام وأمه وملته. وقد عللوا هذه المفارقة بأن الله حفظ تلك المقاطع من التحريف في سفر التكوين وسفر التثنية وسفر أشعيا. وقد نشأت عن هذا تقاليد في الاستشهادات المستعادة حول دلائل/أعلام النبوة.

ومفارقة أخرى تمثلت في لجوء كتب التصوف والتاريخ والأمثال والزهد والرفائق إلى التحويل على الإسرائيليات، نقلًا عن نصوص معزوة إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه ومالك بن دينار وفق صيغة: «مكتوب في التوراة، وقرأت في التوراة». وقد اختلط فيها الرواة اختلاطاً شديداً حيث نجد إلى جانب بعض الحكم والأقوال ذات البعد الخلقي مرويات غريبة معزوة إلى التوراة شأن نظرية الأمزجة الأربعة الإغريقية ووصف الفاروق عمر بن الخطاب الذي قيل إنه مذكور في التوراة (المالقي: مقتل عثمان)، وورود اسم حيدرة (علي بن أبي طالب) في التوراة، بل وذكر عمر بن عبدالعزيز في التوراة (أبو نعيم الإصهاني)، كما افترض ذكر مكة والري (ياقوت الحموي)؛ لكن في نفس الوقت ثمة من نبه من اليهود أنفسهم إلى أن مرويات كعب نسيج من الأكاذيب وأن ما يوجد في التوراة هو نفسه ما يوجد في القرآن (ابن حجر).

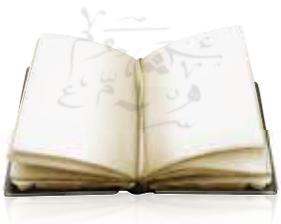
ومفارقة رابعة هي الأخرى، تتعلق هذه المرة بقابلية النص الوحيي للترجمة؛ ذلك أن العديد من المجادلين والمدافعين المسلمين أدركوا أن نسخ التوراة متعددة -التوراة العبرانية والتوراة السومرية والسبعينية اليونانية- قبل أن تنقل إلى اللسان العربي. وقد استنتجوا من هذا استنتاجين متناقضين: ذهب ابن حزم إلى التركيز على أن الاختلافات دليل على التحريف، بينما رأى آخرون كابن قتيبة والباقلاني، ومن غير أن

ضد اليهود؛ إذ يبدو أن المسلمين كانوا أكثر انشغالا بالدفاع عن إيمانهم ضد النصارى (يوحنا الدمشقي). فلا يشير ابن النديم إلى أي كتاب في الجدل ضد اليهود، حتى وإن تضمنت بعض كتب الرد على النصارى (الجاحظ) رداً على اليهود أيضاً. ثم بدأت الردود ترد في كتب التاريخ والكلام والتفسير والدفاع عن الإسلام؛ على نحو ما عكسته كتابات ابن ربن وابن قتيبة والطبري والمقدسي وابن حزم... وقد دار النقاش، بالأساس، على مسألة تحريف التوراة، وهنا تبنى مفكرو الإسلام مواقف مختلفة: موقف متشدد أشعر من خلاله ابن ربن وابن قتيبة، وهما يستعملان آيات من التوراة، بأن المحرف إنما هو تأويل اليهود لنصهم المقدس، وليس النص المقدس في ذاته، ووافقهما الطبري على ذلك، متفادياً استعمال الكتب اليهودية؛ بينما رفض المقدسي وابن حزم هذه الكتب بوصفها محرقة، وذلك على الرغم من أنهما قبلتا أجزاء منها على أنها غير منحولة هي بالذات تلك التي تمت البشارة فيها بنبي الإسلام. وإذن؛ وجد تأويلان للتحريف: متشدد جذري، ولين معتدل.

ثمة لحظة تأسيسية في هذا الاهتمام هي لحظة ابن ربن -الدين والدولة- وابن قتيبة -أعلام النبوة-. وما يوحد بين هذين العالمين -الإسلامي والمسلم- أنهما ألفا بين «مقاطعي» «زعماء» أنها تضمنت نبوءات ببعثة النبي محمد. وقد تأسس على هذا تقليد بكامله تحت مسمى «أعلام النبوة» أو «دلائل النبوة» -وعدت هذه لحظة تدشينية ما فتئ المتأخرون يؤوبون إليها الأوباب، وركزت العديد من فصول الكتاب -التي بلغت واحداً وعشرين فصلاً بعضها خط بيد واحدة، وبعضها بيدين- على هذه العودات إلى ابن ربن وابن قتيبة عند كل فرق الإسلام من سنة وشيعة بمختلف فرقهما.. وقد درست بعض فصول الكتاب تأثير هذين على مختلف الدارسين اللاحقين. واحترمت صاحبتا الكتاب أمرين: التنوع العقلي (مختلف فرق الإسلام) والتنوع الزمني (من العصر الكلاسيكي إلى العهد الثماني)؛ بحيث خصصتا فصلين للاستعمال الجدلي لمقاطع من التوراة لدى جملة من المؤلفين العثمانيين المتأخرين الذين أضافوا مواد من التقليد التفسيري التوراتي المتأخر.

## كتاب في الانتبسات والمفارقات

بما أن القرآن سُمي «التوراة» كتاب الله، فإنه كان على المسلمين أن يعاملوه بالاحترام الواجب تجاه كل كتب الله، وإن كان ثمة شك في صحة نسب كل شيء فيه إلى الله. وعلى هذا الأساس، قام موقف تصفه أدانج بأنه «ملتبس» وتمثل لهذا اللبس بنوازل من التراث الفقهي الإسلامي: فتوى من القرن الرابع الهجري بالقبروان: سئل القابسي عن كيف نعاقب عبداً مسلماً قام في حال غضب بلعن التوراة، وكان أن اعتبر العبد جاهلاً يعذر بجهالته؛ إذ لم يقصد ما بأيدي اليهود من عند الله أو مما حرفوه عن مواضعه، ويحتمل أن يكون قد ظن أن توراتهم شيء عملوه لأنفسهم ليس من عند الله منه شيء. وفتوى ابن رشد الجدل: سئل عن الكتاب تكون فيه التوراة أو الإنجيل أتري أن يبيعه من اليهودي أو النصاريني؟ فكان التساؤل: وكيف يعرف أنه توراة أو إنجيل؟ لا أرى أن يبيعه ولا يأكل ثمنه، ولا يحل لك أن تبيع لهم ذلك. قال محمد بن رشد: قوله إنه لا يحل له أن يبيع الكتاب الذي فيه



## مهمة فاشلة هزيمة الغرب في أفغانستان غاستون بريتشيا

عزالدين عناية \*

بحلول أكتوبر القادم تكون قد انقضت تسع عشرة سنة منذ شن أول هجوم جوي أمريكي على أفغانستان، استهدف معاقل حركة طالبان، بدعوى القضاء على بؤرة الإرهاب العالمي المتمثل في تنظيم القاعدة وحلفائه.

فقد مثلت عمليات إعادة بناء البلد، في أعقاب اجتياح القوات الأمريكية، وما صاحبها من نوايا لدفع الاقتصاد وتشكيل القوات الأمنية والعسكرية، فشلاً امتد زهاء العقدين. أهدرت المجموعة الدولية فيها نصيباً وافراً من الاعتمادات، ولم تأت بنتيجة جِراء السياسات الخاطئة. ففي أكتوبر من العام 2007 أدلى الأميرال ميكائيل موللين، القائد الأعلى المساعد للقوات الأمريكية، بعد شهرين من تقلد مهامه، بحديث إلى صحيفة «لوس أنجلوس تايمز» جاء فيه: «في أفغانستان نعمل ما نقدر عليه، وفي العراق نعمل ما يجب علينا فعله»، في تلميح إلى صعوبة الأوضاع. وهو تقريبا ما صرح به بشكل علني ومباشر الجنرال ماك كريستال حين تم تعيينه على رأس «القوات المساعدة الدولية لإرساء الأمن في أفغانستان» (إيساف) لما طلب 4000 عنصر إضافي لإتمام الحملة الغربية في أفغانستان وحتى تحقق نتائج مرضية.

لكن منذ نهاية العام 2011 بدا الخيار الواضح أمام أمريكا والحلفاء الرحيل عن أفغانستان وحفظ ماء الوجه. وفي شهر جوان من العام نفسه أعلن الرئيس باراك أوباما في خطاب موجه إلى الأمة الأمريكية عزمه على تقليص القوات الأمريكية في أفغانستان وتولي الأفغان بأنفسهم شأن بلدهم. صحيح شكّل تصريح الرئيس الأمريكي خطأ فادحاً، من وجهة نظر استراتيجية، بما يعنيه من انتحار ذاتي كما يقول غاستون بريتشيا. فما وصل إليه المشروع الغربي في أفغانستان من مأزق، أكدّه قادة ميدانيون وساسة، فالمهمة قد باءت بالفشل على جميع الأصعدة، وليس في جانبها العسكري فحسب. كان تعليق رجل ميداني غربي يعمل في مجال تدريب القوات الأفغانية الحكومية، أثار المؤلف تسجيل شهادته: جماعة طالبان هم بصدد تحقيق فوز كاسح، والجميع يدرك ذلك، وأما باقي الحديث فهو مجرد كلام. فالغرب يبحث عن سبيل للخروج من ذلك المأزق، بشكل يعرض سحب آخر القوات الغربية أمام العالم مُقابل تخلي طالبان عن الخيار المسلح، وبشرط عدم تحويل

اللحظة التي غدا فيها نظام الملا عمر مجرد عشاوة واهية للحكم. ففي العشرين من سبتمبر من العام 2001 وجهت الولايات المتحدة نداءً حازماً إلى حركة طالبان بغرض تسليم أسامة بن لادن، المُتهم الرئيس في أحداث الحادي عشر من سبتمبر. جاءت الأمور متسارعة، تلقى حميد خرزاي، في الحادي عشر من ديسمبر من العام نفسه، رسالة رسمية لتولي شأن حكومة الانتقال الوطني لأفغانستان الجديد. وكانت قد مرت حينها تسعة أسابيع على بداية القصف الأمريكي، انسحب أثناءها المطلوب أسامة بن لادن باتجاه الشرق صوب باكستان، بعد أن ترك كابول في التاسع من نوفمبر.

يحدثنا غاستون بريتشيا في مستهل الكتاب، أن المنشود في مطلع الهجوم على بؤرة الإرهاب العالمي المزعومة كان بناء أفغانستان جديد، آمن وديمقراطي، ومندمج في الاقتصاد العالمي، بيد أن الأوضاع تدرجت لتفسح المجال إلى واقع غير قابل للسيطرة. وجِراء الفشل الذريع في ترويض الأفغاني، لم يجد الغرب بداً من تغيير استراتيجيته بشكل جذري في بلد باتت له قدرة على التعايش مع الأهوال والمصائب، ورغم إنهاكه بقي غير قابل للسيطرة. ولعل الشكل الأفضل لإنهاء حرب مستعرة هو التسريع بخسرتها، كما كتب جورج أورويل (1966)، وهي الحكمة التي عاها الغرب بعد زهاء العقدين من الصراع. فقد انتهى في أفغانستان إلى خيبة، أو إلى فشل ذريع في الحرب، كما قال ذلك صراحة بريتشيا؛ لكن الغرب بلغ تلك الخلاصة عقب مسار طويل «وليس هناك دولة بوسعها أن تجني ثمار حرب مطوّلة» كما يخلص الكاتب. فمنذ ألفين وثلاثمائة سنة كان الفيلسوف والخبير العسكري الصيني، سون تزو، قد حذر من إطالة أمد الحروب، لأن إطالة الصراع لا تناسب أحداً، وحتى المنتصر ينتهي به المطاف إلى استهلاك رصيده الخُلقي وسنده المادي. كانت للقوات المساعدة الدولية لإرساء الأمن في أفغانستان (إيساف)، المحددة بتاريخ 31 ديسمبر 2014، بحد ذاتها، رسالة واضحة: «ينبغي أن يتم التحوّل في آجال قصيرة المدى».

تطلبت عملية هدم بؤرة الإرهاب زهاء العقدين، حتى بدأنا نعيش بشكل حازم مراجعات لذلك النهج العنيف في تسوية الأمور، تمثل في خوض مفاوضات علنية بين طرفي الصراع الفعليين: الولايات المتحدة وحركة طالبان. يتعلّق المسار الجديد بمستقبل أفغانستان، وذلك بعد أن تبدلت الأوضاع، وجرت في النهر مياه كثيرة على صلة بالسياسة الدولية. فقد بدأ الطرفان الرئيسان خوض مراجعات جادة للحرب الطويلة التي شهدتها بلد عريق، بات من أفقر بلدان العالم وأكثرها اضطراباً، سعياً للخروج من تلك الأوضاع ونتائجها المدمرة على أطراف الصراع وصناعه.

كتاب الإيطالي غاستون بريتشيا، المختص في التاريخ العسكري والأستاذ في جامعة بافيا في شمال إيطاليا، الذي نعرضه في هذه المقالة، هو كتاب حوصله ومراجعة لحرب طالما حشد لها الغرب العدة والعتاد، وجيش العالم لخوضها. بما عول فيها للانطلاق مجدداً في بسط نفوذه على العالم. فما كان لهذا الكتاب «مهمة فاشلة.. هزيمة الغرب في أفغانستان»، ولا مثيله من الأبحاث أن ترى النور، في السنوات السابقة، لسيورها ضد التيار العام وخشية تثبيط العزائم، بشأن حرب رمزية، أراد الغرب، بالإصرار على خوضها، ترويع الدول «المارقة» وتأديبها.

فالكتاب هو متابعة لصيقة لصناع القرار في تلك الحرب ولنّفذي الأوامر. ورع المؤلف مضامينه على ثلاثة محاور رئيسة جاءت على النحو التالي: الحرب الطويلة؛ إيطاليا في أفغانستان؛ ووداعاً كابول، فضلاً عن تمهيد وخاتمة. اختار المؤلف التوثيق العلمي لجل ما أورده في بحثه، فضلاً عما ردف به النص من خرائط، بدت مهمة لمتابعة الأحداث. فلا يثقل الطابع العلمي للكتاب على القارئ، حيث أراد المؤلف توجيه كتابه إلى جمهور واسع دون إسفاف في الحديث أو إغراق في التفاصيل، وهو ما يُيسر على القارئ متابعة الأحداث الواردة في الكتاب والإلمام بتشعباتها. المعروف أن تورط الغرب في أفغانستان قد بدأ منذ



فاستعمال القوة المفرط والفاقد لاستراتيجية واضحة، ليس من شأنه أن يجرّ إلى عبثية فحسب، بل إلى موت التحالفات. فمنذ تأسيس الناتو - سنة ١٩٤٩ - كان وسيلة بيد أمريكا وأحد الدعائم التي قام عليها النظام العالمي الجديد. بعد سبعة عقود، وتحديدًا في السابع من نوفمبر من العام المنصرم، صرّح الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون «نحن نعيش مرحلة موت دماغي للحلف الأطلسي» وهو ما يجد توافقًا مع مواقف صادرة من الداخل الأمريكي، ففي الثامن عشر من سبتمبر ٢٠١٩ أعربَ الأميرال بيل ماكرافن، القائد الأسبق للقوات الخاصة الأمريكية، عن موقفه من المفاوضات الجارية مع طالبان ومن مستقبل أفغانستان، قائلاً: أعتقد لو بنينا اتفاقًا مع طالبان، بما يسمح بانسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان، فلن يتطلّب ذلك أكثر من ستة أشهر أو سنة على أقصى تقدير، سنتين أن كافة الدماء التي أهرقت والأموال التي هُدرت كانت عبثًا.

وكما يخلص المؤلف غاستون بريتشيا، تكشّف للإمبراطورية الأمريكية محدودية مصادرها، وأن ما ينبغي عليها مواجهته، في المستقبل المنظور، هو التّنين الصيني المتطلّع لمزاحمتها التّهام العالم. فأفغانستان هي حدثٌ تاريخيٌّ ينبغي أُرشفته على جناح السرعة ودون ضجيج. وفي هذه التحولات لن يذرف أحد الدمع، في أمريكا أو أوروبا، على عودة طالبان إلى أفغانستان، ولن يشغل بال أحد بالفعل تعليم فتيات كابول. فللمرة الأولى تبدو أفغانستان زقاقًا مظلمًا أمام الولايات المتحدة والناتو، لتختتم بهذا الشكل مغامرة الديمقراطية الغربية في كابول. فإذا ما كان بعد ما يناهز العقدين، هذا هو شكل الديمقراطية التي قدّمها الغرب في أفغانستان، فمن اللائق ألاّ يلج أكثر في هذه الطريق. ربّما سيّعي الغرب أنه فعلَ الخيار الأمثل (الانسحاب)، وفي آخر لحظة، إذ بيّن الغرب في أفغانستان، مرّة أخرى، أنه غير قادر على تقديم نظام لهذا العالم.

## • الكتاب: مهمّة فاشلة.. هزيمة الغرب في أفغانستان

• تأليف: غاستون بريتشيا.

• الناشر: إيل مولينو (مدينة بولونيا- إيطاليا) "باللغة الإيطالية".

• سنة النشر: 2020.

• عدد الصفحات: 258 ص.

\* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا



القرى البالغ عددها زهاء الأربعين ألف قرية. علاوة على ذلك تبدو المسألة الإثنية عويصة في أفغانستان، وهي إحدى العوائق الرئيسة في العملية السلمية. فجّل أتباع حركة طالبان من البشتون، وأما ميليشيات تحالف الشمال التي طردتهم من كابول سنة ٢٠٠١، فهي تتكون من مقاتلين طاجيك وأوزبكيك. وفيما يتعلّق بالجيش الأفغاني، فهو نظريًا جيش متعدّد المكونات، بنسبٍ متلائمة مع التنوع العرقي، وأما فعليًا فهو مؤسسة عسكرية موجهة وفق الخيارات السياسية السائدة.

في المحور الأخير يحاول غاستون بريتشيا التطرّق إلى دلالات ما يمثّله فشل المهمة في أفغانستان. حيث يتناول الكاتب مسألة استراتيجية في غاية الأهمية على صلة بمستقبل التكتل الغربي، إذ يجري الحديث منذ قرن عن أزمة أخلاقية داخل الغرب، تكشف عن تآكل هيئته في العالم اقتصاديًا وعسكريًا. وضمن تداعيات تلك الأزمة تكرّر الحديث، منذ عقدين، عن بداية انحدار الإمبراطورية الأمريكية. يقول بريتشيا: يبدو الرئيس ترامب ترجمة وفيّة لهذه الأزمة، فسلوكه الخاص والعام هو تجلّ لذلك، واستعماله المتنوّع لوسائل التواصل هو بمثابة تسريع من تآكل الهيبة الأمريكية. فبعد الحرب العالمية الثانية لم تريح الولايات المتحدة سوى حرب وحيدة، وهي حربها ضدّ صدام حسين ونظامه. خالصا الكاتب إلى أنّ الإمبراطوريات، وكشأن أيّ تنظيم سياسي، تُولّد وتتطوّر وتشخّص مع الوقت: كانت لأوروبا فرصتها بعد العام ١٥٠٠، وقد لعبت ذلك الدور باقتدار إلى حين انتحارها الجماعي في الحرب العالمية، والولايات المتحدة تبدو أمام اختبار عسير بعد الفشل الذريع في أفغانستان.

البلد مجددًا إلى قاعدة للإرهاب. فأمريكا تريد طي صفحة المسألة الأفغانية، وهي لا تبالي كثيرًا بالتخلّي عن النظام «الديمقراطي» القائم في كابول.

فالقوات الوطنية الأفغانية بصدد خسران الحرب، وهي حرب على تنظيم طالبان الموسوم بالإرهاب، وهو ما أنشئت من أجله. وحتى الولايات المتحدة ما عاد يدور الحديث فيها عن ضمان الأمن الداخلي، بأيّ ثمن كان، بعد استحالة هزيمة طالبان، أو ربما تبيّنت عبثية الخيار العسكري وضرورة إيجاد وفاق مع العدو. ففي تصريح للجنرال جوزيف دانفورد، بتاريخ السابع من سبتمبر ٢٠١٩، أمام مجلس العلاقات الخارجية، وهو يتأهّب لتسلّم مهامه كرئيس لهيئة الأركان المشتركة الأمريكية، أعرب قائلاً: «منذ سنوات بدا واضحًا أنّ السلم الدائم يمكن أن يُبنى فقط على أساس حوار سياسي مع طالبان والحكومة الأفغانية» وهو ما يلتقي مع ما يروج في أفغانستان من تطلّع إلى تحقيق الأمن ولو على أيدي طالبان بتأويلاتهم الدينية المتشددة. تلك المفارقة في تسوية المسألة الأفغانية عسكريًا ووفق المنظور الغربي، دفعت الرئيس الأمريكي ترامب مجددًا، في الثامن والعشرين من أكتوبر ٢٠١٩، إلى تكليف زلمي خليل زادة بمهمة استئناف المفاوضات مع طالبان بعد تعليقها، على إثر التفجيرات التي حصلت في شهر أغسطس من العام نفسه.

في المحور الثاني من الكتاب يبرز الكاتب المراحل المتعدّدة، والمتضاربة أحيانًا، التي قادت إلى تعهدات فعلية من الجانبين. ففي مرحلة أولى حين أوشكت المفاوضات بين أمريكا وطالبان على الانتهاء، وتمّ الإعداد للقاء رسمي في كامب دايفيد، كان منتظرًا في السابع من سبتمبر ٢٠١٩، ألغى الرئيس ترامب، بشكل مفاجئ، توقيع الاتفاق، بسبب عملية إرهابية ذهب ضحيتها اثنا عشر عسكريًا في كابول، من ضمنهم عسكري أمريكي. كان جواب ترامب حينها: لن يتسنّى لممثلي طالبان السير فوق عشب حديقة كامب دايفيد ما لم يتخلوا بشكل حاسم عن زرع الموت في قلب العاصمة الأفغانية! حيث يعتمد المؤلف بشكل رئيس، في تتبّع الأحداث، التحليل الخطابى للفاعلين في الحرب الأفغانية ودون التطرّق بالحديث إلى الخسائر المادية مع أنها خسائر كارثية؛ بل يلج على إبراز الإرهاق المعنوي الذي لحق بجبهة مقاومة الإرهاب وتبخر مزارع بناء أفغانستان جديد.

من جانب آخر يستعرض الكتاب، ضمن هذا المحور، المصاعب الفعلية لأجل بناء السلم في أفغانستان. إذ يبقى البلد، البالغ عدد سكانه ثلاثًا وثلاثين مليون نسمة، بلدًا ذا طابع ريفي، حيث يتركز أقل من سدس سكانه في أربع مدن رئيسة، في حين يتوزّع الباقي في



## جذور علم الآثار بين العلم والأيدولوجيا جان بول ديمول

لسعيد بوكرامي \*

ما الحاجة إلى علم الآثار؟ لا يوجد شخص لم يفتنه، في وقت من الأوقات، علم الآثار وعوالمه المحفوظة بالحقائق والأسرار، كما يعتبر أحد التخصصات التي يحلم بها بعض الأشخاص المولعين بالتاريخ وجذور الحضارات وتشكل مجتمعاتها ومعمارها وثقافتها، ولكن هذه الرغبة نادرا ما تتحقق. والدليل على ذلك قلة المنتسبين إلى هذا العلم الهامشي على مستوى التوجيه المهني والدرس الأكاديمي، رغم ما يشكله من أهمية قصوى لفهم إنسانيتنا وماضينا وهويتنا لمواجهة جنون التدمير الذي يتهددنا.

بانتظام لأغراض سياسية أو أيديولوجية أو مالية. وهذه هي الحال، على سبيل المثال، مع «خاتم جان دارك» في حديقة بوي دو فو. في العام ٢٠١٦، أضافت مدينة الملاهي الشهيرة خاتما كان ينتمي إلى جان دارك إلى مجموع مقتنياتها. ولكن، بعيدا عن الرغبة في ضمان القيمة التاريخية للتحفة، كان الهدف مالياً قبل كل شيء، لأنه كان يهدف إلى زيادة جاذبية الأماكن بفضل «شخصية عظيمة» في تاريخ فرنسا. يتعرض علم الآثار أيضا إلى إساءة استخدامه عندما يتم تليفق مثل هذه الحالات بواسطة وسائل الإعلام التي تفضل صخب التلفزيون على بث برامج علمية رصينة، يمكن استخدامها لتفكيك الأحكام المسبقة. ومن بين الحالات التي استشهد بها جان بول ديمول: «موقع أليسيا» حيث فُتح «متحف الحديقة» على الموقع المعترف به من قبل المجتمع العلمي كمعلمة أثرية؛ مما أثار خلافات شديدة وجدلا واسعا نشر في وسائل الإعلام. وفي محاولة لدعم ملاحظاته، يعود المؤلف إلى مكانة علم الآثار الوقائي في مناطق مختلفة من العالم. وهذا ما سمح له بأن يثبت أن حجة «الدائن العام» يقود الدول إلى خفض خدماتها العامة من أجل التحرك نحو تطبيق مخطط الخصخصة المعادية للمجتمع. إن علم الآثار، حسب جان بول ديمول، يعاني من السياسات الثقافية المتواطئة مع المستثمرين في قطاع السياحة. وبالتالي لم تعد الآثار محصنة ضد هذا السياق الليبرالي الجارف الذي يشكل حاليا شغف الاتحاد الأوروبي، رغم ما يتخبط فيه من نتائج سياسته الاقتصادية السلبية.

وبذلك؛ أصبح علم الآثار في أوروبا ضحية علم الآثار التجاري. لقد جعل من الممكن الحديث عن مفهوم المنافسة في علم الآثار الوقائي، التي خلقت صراعا بين الشركات الخاصة والهيئات العامة، وهذا بالنسبة للمؤلف يشكل عائقا كبيرا لا يخدم المصالح العلمية

بأهمية علم الآثار في الحفاظ على التراث الوطني. هذا التخصص، غير المعروف والذي يثير الانبهار، هو اليوم في حالة اضطراب. وبذلك يطلق جان بول ديمول صرخة أخرى من القلق بشأن الأخطار التي تتهدد علم الآثار (وخاصة علم الآثار الوقائي) والتاريخ، بسبب تحول سياسات التراث العام، التي صارت أقل تركيزاً على تعزيز وحماية التراث لصالح منطق السوق. يعود الكاتب إلى التاريخ السياسي الطويل لعلم الآثار الوقائي بينما يحذر من خطر إنكار ماضينا من خلال الفشل في حماية مآثره. لذلك يعد الكتاب بياناً نقدياً يعبر عن موقفه المعارض لسياسات التراث الحالية.

ويتألف الكتاب من ثلاثة أقسام رئيسية؛ يركز الأول على الوظيفة المزدوجة لعلم الآثار، من حيث هو تخصص علمي، يسعى لمعرفة الماضي ودعم الوظائف الأيدولوجية. ويتناول القسم الثاني علم الآثار في العالم فيه يدرس الطريقة التي يُعطل بها هذا النظام السياسات العامة أو يخضع لها. أما القسم الأخير، فيعالج مسألة الخطر الذي يهدد علم الآثار في فرنسا اليوم في مواجهة المصالح والأيدولوجيات الاقتصادية.

ويوظف جان بول ديمول العديد من الأمثلة الموثقة جيدا، لكي يوضح أولاً كيف أن الخطابات السياسية أو الأحداث الثقافية أو الفعاليات الإعلامية كانت تنفي على مدى العقود الماضية مساحات كاملة من تاريخ الأراضي الفرنسية. وتركز بشكل خاص على فكرة أن فرنسا لم تشهد في القرن الخامس عشر غزوا خارجيا أو وصول سكان مهاجرين. ثم طورت هذه الفكرة لتصير مذهباً سياسياً يستغل من قبل الحركات القومية ضد الأدلة الأثرية والمصادر التاريخية مما أشاع حقيقة خطايا مخادعا يتحدث عن فرنسا كمنطقة حدودية راسخة لقرون، يقطنها سكان متجانسون. يبين الكاتب أن العناصر الأثرية والأحداث التاريخية يتم التلاعب بها

إن علم الآثار في الأساس فضول بشري في كل المجتمعات ويبحث عن سؤال أصل: العالم، والبشر... وللإجابة عن هذا السؤال الوجودي والمعرفي، ولإيضاح هذه الألغاز، استبدل علم الآثار، منذ القرن التاسع عشر تدريجياً أسرار الحضارات القديمة بدلائل علمية، وحقائق تاريخية، مُبرزا بذلك مهمته الأساسية: فقد أخذ على عاتقه إعادة بناء الماضي والأراضي والشرعية التاريخية لكل أمة.

هذا ما يحاول أن يوضحه كتاب «جذور علم الآثار»؛ حيث يقدم عالم الآثار جان بول ديمول عرضاً مفصلاً عن الوظيفة المزدوجة لهذا التخصص العلمي من جهة، والأيدولوجي من جهة أخرى، مع إبراز الحدود الضبابية بينهما، في بعض الأحيان. ويتضح ذلك من خلال المناقشات الأكاديمية حول تدريس التاريخ وعلاقته بالهوية الوطنية، التي تميزت في مناسبات عديدة بنوع من التلاعب في التاريخ لاستغلاله في الخطاب السياسي والإعلام الأيدولوجي.

كما يُقدم الكتاب أمثلة عن الطريقة التي يعمل بها علم الآثار في العديد من بلدان العالم؛ سواء في تفسيراته التاريخية أو في تنفيذه على أرض الواقع، مع الإشارة إلى تأثيره السلبي المتزايد من قبل الأيدولوجيات الليبرالية المتشددة للمنافسة التجارية على حساب الهوية الثقافية. وهكذا سنرى، في حالة فرنسا بالتحديد، كيف أن التقارب بين المصالح الاقتصادية قصيرة المدى، والأيدولوجية الليبرالية، وأيضاً الفشل الإداري، يعرض للخطر مشاريع إنقاذ التراث الأثري المهدد بالدمار والضياع. ويقدم الكاتب مثالا جليا عن ذلك، ففي سبتمبر ٢٠١٩، فُتح تحقيق حول «تدهور أو تدمير التراث الأثري»، وفيه إشارة إلى أن السبب يعود إلى تنفيذ أعمال الميناء دون حضريات وقائية على الموقع الأثري البحري في بورتوس فينيريس. هذه الحالة ليست حالة معزولة، فهي تذكر



أولئك الذين يتساءلون كيف ولماذا يوجد علم الآثار، لأنّ التحدي الكبير الذي يحمله الكاتب على عاتقه هو حماية التراث الإنساني بصفة عامة وفي كل البلدان. يستنتج جان بول ديمول خلاصة واضحة: «المنافسة التجارية في علم الآثار الوقائي توضح بطريقة كاركاتورية كل سخافات - ومخاطر - الرؤية الاحتكارية والنفعية للبيروقراطية الجديدة التي تسعى للهيمنة على العالم» (ص: ۳۲۰) في ماضيه وحاضره ومستقبله. إذا كان هذا الكتاب لا يقدم أي شيء جديد عن التخصص الأكاديمي في حد ذاته، فإنه بالمقابل يناقش قضايا مهمة ومفيدة للغاية، خاصة بالنسبة للخريجين المستقبليين في علم الآثار، حول القضايا السياسية لعلم الآثار الوقائي وانتكاساته منذ اجتياحه من طرف المستثمرين.

يكتسب علم الآثار أهمية كبيرة؛ فقد استفاد منذ عقود من مساهمة التقنيات والأساليب والاستدلالات الجديدة، لا سيما الناجمة عن التقدم في علوم الحياة والعلوم الطبيعية (المقاربة الجيولوجية الأثرية، والتحليلات الفيزيائية الكيمائية... وغيرهما). وهي الآن قادرة على إعادة بناء الأنشطة البشرية وكذلك المناظر الطبيعية أو المناخ عبر العصور المختلفة. كما أنّ مجموع البيانات المتراكمة في العقود الأخيرة هو موضوع بحث معمق ومختلق يجدد معرفتنا. وبالتالي فإن ذلك كله يثري علم الآثار والمناقشات العلمية العظيمة حول الماضي وولادة وتطور جنسنا البشري، واستخدام الموارد الطبيعية، وتشكيل الهويات الثقافية، والحروب والصراعات والعنف الجماعي، وظواهر الهجرة، مما يساعد على إلقاء الضوء على الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والبيئية لكل مجتمع، اليوم وغداً. لهذا؛ يجب إعطاؤه عناية خاصة لأنه يعيد الحقائق التاريخية المطمورة ويستعيد ذاكرة الحضارات المنسية، وهذا يثمن الثقافة المحلية ويمنحها إشعاعاً ثقافياً وحضارياً إنسانياً ممتداً في الزمان المكان. إذن؛ لا بد من إعطاء علم الآثار قيمته العلمية والإستراتيجية لإعادة بناء تاريخ المجتمعات الماضية وتفاعلها مع بيئتها، وهذا سيمكننا نحن والأجيال القادمة من إثراء معرفتنا بأسلافنا الذين سبقونا، وفهم أفضل لعالمنا في الحاضر والمستقبل.

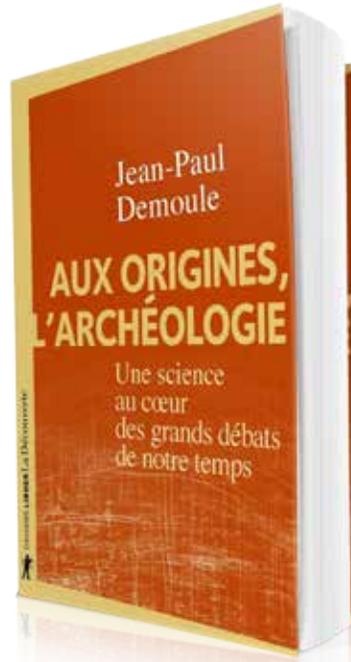
• الكتاب: «جذور علم الآثار».

• المؤلف: جان بول ديمول.

• الناشر: دار لاديكوفيرت، فرنسا، 2020م.

• عدد الصفحات: 332 صفحة.

\* كاتب ومترجم مغربي



ويبدو أنّ المؤلف يُعاتب بشدة الأجهزة الفرنسية المسؤولة عن هذا التقصير؛ لأنّ المناقشات السياسية، وكذلك النصوص التشريعية، تفتقر إلى منظور علمي؛ لأنها وقبل كل شيء جزء من عملية أيديولوجية. وهكذا، على مدى العقود الماضية، ساد التشكيك في جدوى وجود علم الآثار الوقائي ومؤسسة المعهد الوطني للبحوث الأثرية الوقائية. لا يحاول جان بول ديمول إدانة علم الآثار التجاري كلياً ولكن بدلاً من ذلك يدافع عن أهمية هيكلية علم الآثار الوقائي بين الخدمات العامة والمنظمات الخاصة من أجل تنسيق الأساليب العلمية، وإنشاء خطط دراسية رئيسية وتنظيم نشر تقارير عن التنقيب توازي بين الطرق المنهجية التقليدية والحديثة. بالإضافة إلى ذلك، هناك اقتراح لتغيير طريقة تخصيص أعمال الحفريات؛ من خلال إعطاء السلطة لهيئة علمية وليس للمهني التجاري. ومع ذلك، فإنه يشكك بوضوح في تمويل شركات الحفريات الخاصة التي تسمح، من خلال الاستفادة من الإعانات الحكومية، لمساهمتها بإثراء أنفسهم في حين أنّ علماء الآثار الذين يتقاضون أجوراً زهيدة ويعملون في ظروف صعبة للغاية، كما أنّ المعهد الوطني للبحوث الأثرية الوقائية يوجد اليوم في وضع اقتصادي غير مستقر بعد عدم إعادة تقييم الرسوم الضريبية على المعالم الأثرية. في الواقع، هذه الضريبة، التي يجب أن يدفعها كل شخص عام أو خاص يخطط للقيام بعمل يمس الممتلكات تحت الأرض، لم تعد كافية من أجل تمويل التشخيصات الأثرية؛ وبالتالي لا تسمح للمعاهد الوطنية للبحوث الأثرية الوقائية كي تعمل بكفاءة واستمرارية.

لا يُمكن التوصية بقراءة هذه الدراسة القيمة لجميع

ولا الهوية الثقافية. في الواقع، يؤدي هذا إلى تقييم الحفريات الوقائية فيما يتعلق برحيتها أو إدارتها وفقاً للتكاليف، على حساب جودتها العلمية ومهمتها في حماية التراث الإنساني المشترك. هذا هو الحال بشكل خاص في اليونان حيث تم تفكيك الخدمات الأثرية العامة في أعقاب الأزمة الاقتصادية لعام ۲۰۰۸ لصالح الشركات الخاصة. مع هذه الأخيرة، لم تعد الحفريات الوقائية تُنفذ إلا إذا كان صاحب المشروع على استعداد لدفع أجور للفرق الأثرية. وقد أثرت هذه الخصخصة نفسها على اليابان منذ عام ۲۰۰۰، والتي تضررت خدماتها الأثرية الإقليمية وانخفض اللجوء إلى علم الآثار الوقائي بشكل كبير. يعود جان بول ديمول أيضاً إلى المزيد من الأسس المفاهيمية عن نظرة النخبة العالمية التي يرى الكاتب أنها ما تزال تقوّض مفهوم الثقافة في خدمة الجميع مفضلة الاهتمام الدائم بما ستحققه من أرباح وهكذا، بتنا نشاهد داخل المتاحف الأوروبية صعود نوع من رعاة الثقافة الذي يتخذون في الغالب صفة مستثمرين، هدفهم الأساسي الترويج السياحي والاقتصادي. (كيف نأخذ بجدية سياسياً يحتج على تدمير موقع بالمير الأثري إذا كان قد عارض علانية علم الآثار الوقائي في فرنسا، والغرض منه هو الحفاظ على التراث الوطني؟ هذه مفارقة التعايش بين خطابين متناقضين، من ناحية تعزيز حماية التراث البعيد، ومن ناحية أخرى، تعريض التراث المحلي للخطر من خلال إضعاف الوسائل (القانونية والشريعة والمالية) للحماية - ص: ۲۸۰)، وهذا ما دفع جان بول ديمول في الجزء الثالث والأخير إلى العودة مطوّلاً إلى التاريخ الاقتصادي والسياسي لعلم الآثار الوقائي في فرنسا، موضحاً أنّ الأمر استغرق ثلاثين عاماً من التعبئة لعلماء الآثار للحصول على تطوير سياسة عامة لحماية التراث المطمور وإنشاء مؤسسة متخصصة، وهي المعهد الوطني للبحوث الأثرية الوقائية. لكن هذا القانون، الذي مُرّر في عام ۲۰۰۱، تم تقويضه في عام ۲۰۰۳، بسن قانون يحدد مبدأ المنافسة التجارية في الحفريات الأثرية. ورغم ذلك ما زال المعهد الوطني للبحوث الأثرية الوقائية والخدمات الأثرية الإقليمية الجهتين الوحيدتين القادرتين على القيام بتشخيص على الأرض يخضع لمشروع التهيق، ويمكن لصاحب المشروع اختيار الشخص الذي سيقوم بالحفريات الأثرية المطلوبة. لكن وصول جهات فاعلة جديدة إلى مواقع الحفريات أدى إلى تشويه علم الآثار الوقائي؛ لم يعد التنقيب منظماً وفقاً للمبادئ العلمية وإنما وفق التطلعات التجارية. لم يعد تحديد خيارات المخطط على أساس الاهتمامات العلمية (تخصصات علماء الآثار) ولكن على أسس اقتصادية متمثلة في (تكاليف التنقيب).



## أشياء سوفيتية خطيرة الأساطير الحضارية والمخاوف الشعبية في الاتحاد السوفيتي... أليكساندر أرخبوفا وأنا كيرزيوك

فيكتوريا زاريتوفسكايا \*

يعد الكتاب «أشياء سوفيتية خطيرة» للباحثين الروسيين أليكساندر أرخبوفا وأنا كيرزيوك أول دراسة أنثروبولوجية فلكلورية مكرسة للمخاوف الخفية للشعب السوفيتي، حيث نتعرف فيه على نشأة مثل هذه الهواجس وكيفية تحولها إلى شائعات واسعة النطاق وتأثيرها على سلوك الشعب السوفيتي؛ سراويل الجينز الموبوءة بالقمل، والبيرقات المنضوية في جلد الضيوف الأفارقة، وصورة الزعيم الصيني ماو تسي تونغ تظهر ليلاً منسوجة في سجادة صينية، والصلبان المعقوفة المدسوسة في هندسة المنازل، والعلكة المزوجة بالزجاج المسحوق - كل هذا وغيرها من الأساطير الحضارية السوفيتية حول الأشياء الخطرة.

ولكن على المستوى المجتمعي وليس الشخصي. عدا ذلك نجد أن الأسطورة الحضارية تساعد على إيضاح الحالات العاطفية غير المعقدة وغير المريحة لفئة ما من المجتمع. نأخذ مثلاً سلسلة الجرائم التي شهدتها مدينة أتلانتا الأمريكية عام ١٩٨٠ في حق مراهقين من أصل أفريقي، فانطلقت الشائعات التي تربط مقتل المراهقين للحصول على مادة معينة يحتاجها الأطباء البيض لدراسة الإنترفيرون، وهي مادة لا تتوفر إلا في أجساد أصحاب البشرة السوداء! وقتذاك استنتج علماء النفس الأمريكي أن، ومن خلال إطلاق تلك الشائعات حول تهديد جسدي معين، عبر الأفارقة عن شعورهم بتهديد أكثر تجديداً تجاههم، لاسيما وأنهم مجموعة اجتماعية تعاني من التمييز. إلى ذلك وجدت الباحثان أن الأسطورة الحضارية تقدم تعويضاً للجمهور على هيئة حل رمزي للمشكلة؛ فهي لا تعبر عن مشاعر الخوف فحسب، بل تعوضه وتصور الواقع بشكل أكثر بساطة وأماناً، فضلاً عن أنها لا تشير فقط إلى الشعور المكبوت بالذنب بقدر ما تساعد على التغلب عليه. ومن الأمثلة الشائعة على ذلك أن الأسطورة الحضارية تقاوم الطب الرسمي السائد، وهي تصور الواقع كما يود الجمهور أن يكون. لذا، وبدلاً من البحث عن الأسباب الحقيقية لمشكلة ما، يدفع القلق أفراد المجتمع إلى فهم التهديدات وكأنها قادمة من مجموعة اجتماعية أو عرقية مزعومة. نأخذ مثلاً وباء الكوليرا الذي ضرب عام ١٨٣٠ أجزاء من الإمبراطورية الروسية، فأحيلت مسألة زحف البواب إلى ما عرف آنذاك بأعمال شغب الكوليرا والنتيجة وفاة أعداد كبيرة من الناس. وكان الزناد الذي عمم الكارثة، الانتشار الواسع للشائعات القائلة بأن التفسير الرسمي للمرض كان مجرد غطاء، في حين أنه من فعل العملاء البولنديين واليهود.

الأساطير، ولفترة طويلة، حصراً على علم المورفولوجيا (الذي يعني بدراسة الشكل، سواء فيما يتعلق بالأحياء أو بالفنون... إلخ) ومن المعروف أن الفضل في إحداث اختراق كبير في دراسة الحكايات الخرافية يعود للباحث الروسي فلاديمير بروب، مؤسس طرق المقارنة في المادة الفولكلورية (توفي عام ١٩٧٠). وبالنسبة للبناء الهيكلي للأسطورة في الاتحاد السوفيتي، ولاسيما في حقبته الأخيرة، فهو يعتمد في معظمه على ثلاثة عناصر: أولاً (التقاء بطل الأسطورة بالعدو). ثانياً قبول البطل هدية العدو برغم التحذيرات من احتمالية الخداع. ثالثاً (النهاية المأساوية للبطل). وليس مصادفة أن واحدة من أكثر القصص شيوعاً في ذلك الزمن تلك التي تتمحور حول الصبي الذي لم يلتزم بحظر التعامل من الأجانب فأخذ العلكة المسمومة منهم ومات. بيد أنه، وبداية من عام ٢٠٠٠ شهد الحقل المعرفي تحولاً إدراكياً حاسماً في مرجعية علم الإنسان، فنقل الباحثون اهتمامهم من نص الأسطورة أو الحكاية الشعبية إلى دراسة إدراكها، أي التحول من دراسة الإشارات الخفية للأسطورة، إلى مراقبة سلوك الأشخاص وذلك بغض النظر عن معرفة الشخص بالأسطورة من عدمها، ثقته بها أو غير ذلك، وإن كانت تثير مخاوفه أم لا، وأصبحت الأسئلة الأهم على النحو التالي: كيف تشكل الشائعات أوهاماً جماعية؟ وكيف يظهر الذعر في المجتمع؟ وما إلى ذلك من أسئلة تتعلق بالإدارة الجماعية. تتبع المؤلفتان أسلوب التحليل النفسي، فتقدمان للتداول العلمي مصطلحين: التعبير الذاتي الفلكلوري، والتعويض الفولكلوري؛ بمعنى أنهما تعتقدان أن الأسطورة تنطوي على وظيفة علاجية

لم تقتصر المؤلفتان على تقديم لمحة تاريخية موجزة لموضوع بحثهما، فجمعنا فضلاً حول مقاربات ومحاولات علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع في تفسير سبب وجود الأساطير الحضارية، بدءاً من اعتبارها قصصاً غامضة نرويها لبعضنا البعض عند احتساء فنجان القهوة، أو نستقبلها من بائع الحليب صباحاً، أو نقرأها في صفحة الحوادث في الجريدة اليومية، وصولاً إلى منحها صفة الظاهرة وصياغتها في دراسات علمية جادة. لقد أدت قدرة الأسطورة على الاستجابة والتعبير عن العضلات الاجتماعية الراهنة إلى إيلائها قدراً كبيراً من الاهتمام الأكاديمي وغير الأكاديمي كما يظهر جلياً في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وفي غيرها من بلدان العالم الأخرى، وأصبحت دراسة الفولكلور الحضري ذات شأن عظيم، وتشهد نمواً مضطرباً في الكثير من الأكاديميات المرموقة حول العالم. ففي الولايات المتحدة خصصت جامعة إنديانا مركزاً لدراسة الأسطورة الحضارية، وفي باريس أنشئ في عام ١٩٨٤ معهد لدراسة الشائعات (La Fondation pour l'étude et l'information sur les rumeurs) وفي عام ١٩٩١ تأسست الجمعية الدولية لدراسة الأساطير الحديثة (International society for Contemporary Legend Research) ويصدر عنها مجلة Contemporary Legend إلى جانب عقدتها مؤتمرات سنوية ذات الاختصاص. وفي روسيا تم تشكيل مجموعة بحثية حملت مسمى «مراقبة الفولكلور التطبيقي» تضم في عضويتها مؤلفتي هذا الكتاب. وكما تشير مؤلفتا الكتاب فقد ظلت دراسة نصوص



لم تكن فردية وإنما جماعية. وتفسير هذه الظاهرة علمياً حين يقوم الفرد بمنح الأشياء اليومية من حوله معاني جديدة تختلف عن المعاني التي وجدت عليها؛ يحدث ذلك بصورة مفاجئة وبلا مُقدمات، تماماً مثلما يحدث في ساعة الإلهام، وبه تستبد الهواجس والأوهام على الأفراد من وجود أعداء غير منظورين، وتظهر أمامهم علامات يُلفقها التوهم، وبه أيضاً تشكّل الذعر لدى المواطن السوفيتي من الصليب المعقوف الفاشي، وظهرت الأساطير حول المنازل والغابات التي تشبهه بالصليب المعقوف، والادعاء بأنها من عمل الجواسيس. وتسوق الكاتبتان مثالا على هذه الدوامة من الترهيب الدعائي من فترة المواجهة الحزبية بين ستالين والمعارضة فكانت لحية تروتسكي الشهيرة تترأى للناس في كل شيء يروونه أو يلمسونه. وتورد المؤلفتان جانباً من الاستبيان الذي استوحيت منه لوحة الغلاف (أي علبة الكبريت). يقول أحد الأشخاص الذين انضموا للاستبيان: «في طفولتي لم يكن هناك كلمات مروعة في البث الإذاعي أكثر من اسم تروتسكي والتروتسكية. أتذكر عندما عاد والدي ذات مرة من العمل ووضع أمامي علبة كبريت وقال: حاول العثور على صورة رجل له لحية في اللهب الذي على الصورة! فسألته أمي: ما معنى أُلغازك هذه؟ رفع أبي عينيه وقال بجديّة: الحقيقة أن مدير مصنع الكبريت تم القبض عليه أمس بسبب هذا الملصق على العلبة» (ص: ١١٠).

في الختام نلاحظ أنّ الصبغة العلمية هي أكثر ما تميز به هذا الكتاب؛ فلم تكتف الباحثتان بإعادة سرد الأساطير الحضريّة والشائعات التي سادت في الحقبة السوفيّاتية، ولكن، وهو الشيء الأهم، تطبيق النهج العلمي لدراسة محتواها وأسباب ظهورها. بفضل هذا يكون بمقدورنا البحث في تقنية ظهور النماذج والأخبار المزيفة على شبكات التواصل الاجتماعيّ اليوم.

• الكتاب: أشياء سوفيّية خطيرة.

• المؤلف: أليكساندرا أرخييفا وآنا كيرزيوك .

• دار النشر: ن.ل.أو. / موسكو/ 2020.

• اللغة: الروسية

• عدد الصفحات: 536

\*أكاديمية ومستعربة روسية



المرتبة عن التفاعل مع الغرباء والتي سادت فترات مختلفة من التاريخ السوفيتي، إلى جانب المخاوف التي تسربت إلى حكايات الأطفال السوفيت. ولكن تأتي المخاوف من الاصطدام النووي بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في مقدمة تلك المخاوف المؤسّرة. والحال كذلك؛ فلا شك أن ذروة هذه المخاوف تجلت في الأزمة الكارثية عام ١٩٦٢ عندما قام الاتحاد السوفيتي بزرع صواريخ تحمل رؤوساً نووية في كوبا، ونتيجة للضغط الدعائي والمخاوف التي أطلبت على المجتمع السوفيتي كان الناس يحلمون في منامهم بأحوال الحرب القادمة والانفجارات النووية المرعبة. تؤكد المؤلفتان على أن الأسطورة الحضريّة السوفيّية كانت لها خصوصية تعود إلى الظروف الاستبدادية التي سادت، وفي ظل رقابة أيديولوجية صارمة. لذلك هدفت الأساطير أساساً للعثور على أعداء خارجيين وداخليين يترصون بالفرد السوفيتي ودولته.

لقد عاشت الأسطورة السوفيّية، وبخلاف الأسطورة الغربيّة، وتطورت في ظروف علاقات صعبة ربطت بين الإنسان والسلطة، إذ لم يقتصر الأمر على المواجهة بين الطرفين ولكن هناك التأثير المتبادل أيضاً. فعلى الرغم من حقيقة أنّ مروجي الشائعات كانوا يُدانون ويتم اضطهادهم من قبل الدولة طوال الحقبة السوفيّية، إلا أنّ الأسطورة لم تكن فقط اللغة التي يتناقل بها الناس معلومات غير رسمية، بل غالباً ما كانت اللغة التي حاولت بها مؤسسات الدولة التأثير على سلوك الناس.

أدى كل هذا إلى انتشار ظاهرة apophenia أو الاستسقاط، ولكن بنموذجها السوفيتي، إذ إنها

تشكك الباحثان في حداثة معظم الأساطير الحضريّة، فتعطين فكرة أن العديد من الأساطير الحضريّة تتحول عبر الزمن وتكتسب تفاصيل حديثة. من هنا ظهرت في روما القديمة (مثلاً) أسطورة عن الأخطبوطات الساكنة في حفر المجاري؛ ألا يبدو الأمر شبيهاً بالشائعة الحديثة القائلة بأن التماسيح التي تلتهم البشر تعيش في مجاري نيويورك؟ أو كالثقافة المتداولة في الاتحاد السوفيتي في فترة الثمانينيات وتحدثت عن شخص يلتقط الأطفال ليمتص الدم منهم ويملاً به أقلام الحبر؟ تعيد المؤلفتان هذه القصة إلى أسطورة «فرية الدم» التي تتهم اليهود بقتل الأطفال في طقوسهم الدينيّة، ولكن، وبما أنّه لا مكان للدين في الحقبة السوفيّية، تفقد الأسطورة مكوّناتها الدينيّة، فيتحول اختطاف الأطفال باعتباره سعيّاً لليهود الروس لتحقيق مصالح مالية.

أما الفصول الخمسة المتبقية فتبتعد عن القواعد النظرية، وتتوزع مواضعها على مناطق مختلفة. فيتحدث الفصلان الثاني والثالث عن الأساطير الحضريّة التي شرعتها السلطات، أي تلك التي تبلورت في الأعلى، وسربتها الحكومة السوفيّية للسيطرة على سلوك المجتمع، وصدّ المواطنين عن تصرفات غير مرغوبة، عادة ما تكون مشوبة بالسياسة.

يتناول الفصل الثاني «العلامات الخطيرة» للمؤامرات التي ظهرت بفضل الدعاية الرسمية للعقد الثالث من القرن الماضي، أي ما جرى المؤرخون على تسميته بعصر الإرهاب العظيم في الاتحاد السوفيتي تحت حكم ستالين، ومن الأمثلة على ذلك حين طلب من المواطنين فضح مكائد الأعداء المندسين في كل مكان، أي المعارضين السياسيين للحاكم، وفي المقام الأول زعيم المعارضة ليون تروتسكي. يناقش الفصل الثالث موضوعاً «كيف أصبحت الأسطورة سلاحاً أيديولوجياً» ويناقش طريقة عمل الدعاية السوفيّية في استخدام الشائعات والأساطير للتأثير على المشاعر العامة والتلاعب بها. يحكي الفصل الرابع والخامس والسادس عن القصص المرعبة العجيبة التي ظهرت وانتشرت بين المواطنين السوفيت على المستوى الأفقي، ولا علاقة بالمؤسسات الرسمية بتصديدها، وإن كانت قد عززت روايات الدعاية الرسمية، وأحياناً تعاد صياغتها لصالح المؤسسة الرسمية أو يتم تحديدها ودحرها في مناسبات أخرى. سيتعرف القارئ في هذا الفصل على حزمة من الممنوعات التي تحولت إلى أساطير مُلتحمة بالحياة اليومية للفرد السوفيتي ومصدرها لمخاوفه الفطرية وهي من قبيل الآثام



## تعریة الكلمات: قوائم الشدایق الفکرية بوصفها نقداً اجتماعياً وثقافياً فی القرن التاسع عشر کریستیان یونغه

رضوان زاوي \*

يقول الرحالة والمستعرب البريطاني الشهير سير ويلفريد ثيسيجران أسوأ ما في الوحدة هو أن تكون وحيداً وسط الحشود، وبأنه شعر بالوحدة في المدرسة وهو طفل وفي المدن الأوروبية التي زارها فيما بعد، ولكنه لم يشعر بها في أي مكان بين العرب، وفي شبه الجزيرة العربية لم يكن وحيداً مطلقاً.

النسوية المبكرة للنهضة اللبانية والسورية كانت مهتمة بالحضارة العربية من خلال الكتابة عن المرأة والكتابة لها. وهنا لابد من ملاحظة أن الباحث يقارب نقاشات النهضة اللبانية السورية عن وضعية مكانة المرأة في المجتمع والسؤال المرتبط بها عما إذا ما يتوجب عليهن تعلم القراءة والكتابة. في هذا الإطار يدرس الباحث كيف ساهم الساق في هذه النقاشات أدبياً وفكرياً وكيف اكتشفها وواصل التطرق إليها. وهو ما سيحلله المؤلف على ضوء تصور هيلين سيكسوس في النظرية النسوية ما بعد البنيوية، والتي أوصت النساء بالتركيز على الفردية، والكتابة لإعادة تعريف الهوية الذاتية في سياق تاريخها وروايتها. فالكتابة هي أداة يجب أن تستخدمها النساء للدفاع عن أنفسهن من أجل الحصول على الحرية التي حُرمن منها تاريخياً. وجاء الفصل الخامس بعنوان: «الرغبة: الإغراء اللغوي لطبيعة جسمانية أخرى». مكرساً للإغراء اللغوي والرغبة والانضباط في القرن التاسع عشر باعتبار الساق نصاً إغرائياً. يدرس المؤلف في هذا الفصل الجسد وإدراكه الذاتي، والطبيعة الجسدية. أما مرجعية الساق هنا فهي اللغة العربية الكلاسيكية، من أجل تطوير فهم آخر للرغبة وللجسد. ويتراعى الكتاب عن الرغبة من خلال نص رولان بارت «لذة النص»، من أجل تجربة جسدية وجدت في الإغراء اللغوي طبيعة جسدية جديدة وجريئة وغير محدودة بالزمن. فنص الساق هو بنية وجسد يتم التعامل معه على أساس اللذة الموجودة فيه. فالنص يشبه سيدة ذات وجه أبيض، إن هو أراد أن يكون مقروءاً كما يرى بارت، فإن شيئاً من العصاب ضروري لإغواء قرائه؛ فمثل هذه النصوص المدهشة هي نصوص مغناج. في الفصل السادس قرأ المؤلف الساق على خلفية أعمال الشدایق اللغوية-التربوية والسانية ونقاشات النهضة عن التحول اللغوي. في المركز يوجد فهم الشدایق للكلمات. يتناول فيه الباحث اللغة باعتبارها كلمات أرشيف وسجل للثقافة. فالنهضة تأسست أيضاً على أساس العربية في القرن التاسع عشر لغة وتصورات المؤلف اللغوية في كتابه عن اللغة. في إطار الفيلولوجيا العلمية الثقافية والتفكير اللغوي الأدبي/ اللغة كنقد ثقافي وتعريية للاستشراق لغويًا. فالفيلولوجيا والاستشراق يضمنان أن نص الشدایق أيضاً هو نص لغوي علمي ضمن نقد المجتمع.

الأوروبية على هذا السجل. واستعان المؤلف بهذه المفاهيم وهذه النظريات من أجل إخراج فصول هذا الكتاب في صورتها العلمية الرصينة حيث تتوزع كالتالي: تناول المؤلف في الفصل الثاني بعنوان: «حياة الشدایق وعمله في النهضة» حياة الشدایق وعمله في عصر النهضة اللبانية السورية، مع ما صاحب ذلك من النظر في أحوال الفاعلين في هذه النهضة العربية في القرن التاسع عشر. وقدم الباحث تقسيماً مهماً لحياة الشدایق، مما يتيح تقييم كل مرحلة على حدة، ثم تقييم كل هذه المراحل مجتمعة على ضوء تصوراته عن النهضة المبكرة التي بدأت بوادها في كل من لبنان وسوريا على النحو التالي: المرحلة الأولى في لبنان ومالطا ومصر (١٨٤٨-١٨٥٥)، والمرحلة المتوسطة في إنجلترا وفرنسا (٤٨-١٨٥٧)، أما المرحلة الأخيرة في تونس وإسطنبول (٨٧-١٨٥٧). ويمكن اعتبار هذا الفصل مدخلاً إلى مفهوم وتاريخ النهضة اللبانية-السورية التي منحت النهضة العربية أهم روادها ومشاريعها الفكرية. على هذا الأساس ترسم هذه الدراسة الحياة النشيطة والعمل الضخم والشامل لأحمد فارس الشدایق، الذي تميز إلى حد ما بغرابة الأطوار الجغرافية والفكرية. وقد قام المؤلف بمغامرة قرائية مميزة فيه تضمنت دراسات في الاستشراق والحداثة ومكانة الشدایق في الحقل اللغوي الفيلولوجي والأدبي باعتباره شخصية عربية تصنف إلى جانب المفكرين العرب وضمن الشخصيات الاستثنائية والأكثر تأثيراً في القرن التاسع عشر. بهذا يكون الباحث قد اعتمد على وصف مكانة الشدایق الفكرية، والذي درس الحقل الفيلولوجي في باريس ونشر كتابه في الجمعية الفرنسية التي انتقدتها أيضاً. أما الفصل الثالث بعنوان: «الكتاب والنص: الساق على الساق»، فقد تناول فيه الباحث تاريخ تلقي كتاب «الساق على الساق» ضمن مسار الاستقبال وسياق الانتشار والترجمة إلى الفرنسية، إضافة إلى غموض النص ووضعية البحث فيه باعتباره نقداً للمجتمع وللثقافة. وكان الباحث قد ألقى نظرة على الكتاب باعتباره عملاً فنياً كاملاً، ورسم توزيعه وتلقيه في أوروبا والعالم العربي. بينما جاء الفصل الرابع: «الجنس: الأنثوية بوصفها تمثيلاً للنقد»، ليتناول فيه الكتاب موضوع الجنس من خلال الأنوثة بوصفها تمثيلاً قابلاً للنقد، فالنقاشات

يهتم الباحث الألماني كريستيان يونغه بمجال الدراسات العربية المقارنة، وجاء الكتاب الذي بين أيدينا بعنوان «تعريية الكلمات: قوائم الشدایق الفکرية بوصفها نقداً اجتماعياً وثقافياً في القرن التاسع عشر» ثمرة هذا الاهتمام، وثمره التعاون العلمي في قسم الدراسات السامية والعربية في الجامعة الحرة ببرلين، ومشاورات فكرية مع باحثين متميزين في الدراسات العربية. ويعد فارس الشدایق (١٨٠٥-١٨٨٧) أحد أهم المفكرين العرب في القرن التاسع عشر. فقد نشر كتابه «الساق على الساق» في ما هو الفرياق» في باريس عام ١٨٥٥. أبرز المؤلف يونغه في هذا الكتاب أن كتاب الشدایق من أهم المؤلفات الفكرية التي ظهرت في عصر النهضة العربية الحديثة. تكمن أهمية هذا الكتاب حسب الباحث يونغه، في كونه يضع القارئ في مواجهة مع عدد كبير من قوائم الكلمات. لهذا تتناول هذه الدراسة الجديدة تلك القوائم بالتحليل لأول مرة من منظور الدراسات الثقافية المقارنة وما بعد الاستعمارية، بوصفها قوائم ناقدة للحياة في عصر النهضة العربية. ومن أجل الوصول إلى نتائج علمية رصينة استعان المؤلف في تحليله لكتاب الشدایق بمجموعة من النظريات والمفاهيم، من بينها:

- فكرة «العودة إلى الفيلولوجيا» كما جاءت عند إدوارد سعيد، وذلك من أجل تطوير أداة تحليلية جديدة لتعريية الكلمات في كتاب «الساق» والكشف عن بعدها المعري والجمالي، مما ساعد المؤلف على مناقشة مفهوم اللغة عند الشدایق وعلاقته بالنقد الثقافي الاجتماعي في عصر النهضة.
- مفهوم «تعريية اللغة» كما عند الطرابلسي، لتصبح أداة تحليلية جديدة تؤكد على اعتبار القوائم وسيلة نقد اجتماعي ونقد ثقافي.
- مفهوم رولان بارت «لذة والمتعة»، كما جاء في كتابه لذة النص.
- نظرية الكتابة النسوية لدى هيلين سيكسوس التي تدعو فيها إلى الاستعانة باللغة القديمة لتقديم مفهوم مختلف للجسد.
- نظرية «الذاكرة الثقافية ووظيفتها» عند أليدا أسمان، من أجل مقارنة استخدام الكلمات باعتبارها سجلاً ثقافياً مع تسليط الضوء على استخدام السيطرة الاستشراقية



جاء هذا الكتاب ليُغطي القصور الذي طال أعمال الباحثين في تناولهم لأعمال الشدياق أو في إهمال غير مُبرر علمياً للجانب الإصلاحي عنده، رغم أنه عاصر إصلاحيين مثل ناصيف البازجي ورفاعة الطهطاوي وعبد القادر الجزائري. ويكفي أن المؤلف قد اشتغل في هذا الكتاب على الشدياق الذي يعتبر مضطرباً برسالة التثقيف والتوجيه والتنوير والإصلاح في القرن التاسع عشر، وأهم الإصلاحيين العرب في عهد محمد علي وله منهجه الإصلاحي الخفي المرموز خوفاً من تعرضه للأذى بسبب انتقاده للسلطة الرجعية، وعاصر هوجو وادغار آل بوا، وله اتصالات بمستشرقين ومثقفين عرب. وهو أديب ورحالة بارز من الرحالة العرب المهمين إلى أوروبا في القرن التاسع عشر، وهو كاتب صحفي لغوي ومترجم ومثقف لامع، ومترجم للإنجيل ومصحح للترجمات السابقة للقساوسة، ومعلم للعربية والإنجليزية والفرنسية، ومصحح للترجمات الدينية التي قام به المبشرون ويعتبر من أهم مجددي اللغة العربية.

وفي رأيي، ينبه هذا الكتاب إلى مسألة مهمة جداً وهي مساهمة الاستشراق الغربي العمودي في إهمال الأوروبيين والعرب لأعمال هذا الفكر العربي المهم، من خلال البعد الاستعماري في تقسيم الأدب العربي وإبعاد إنتاج الشدياق الفكري والأدبي منه، وكيف أن الاستشراق الأفقي النابع من بعض أقسام الدراسات العربية في الجامعات الألمانية والغربية، قد نبه إلى كتاب «الساق على الساق» فيما هو الفارياق» الذي دعا فيه صاحبه إلى تحرير المرأة قبل قاسم أمين... وكانت رضوى عاشور قد كتبت عنه دراسة مهمة نشرتها كتاباً بعنوان «الحداثة الممكنة»، فالشدياق أحد رواد النهضة العربية الحديثة. وصاغ العديد من الأفكار الغربية التي خدمت النهضة العربية، فأدخل سياسياً مصطلح الاشتراكية إلى العربية، وأكد أن الحكم المطلق هو سبب شقاء الشرق، كما نادى باستفتاء الشعب في القوانين التي تصدر، ودعا إلى التطوير الاقتصادي، كما شدد على خطورة الاستعمار وعلى التجارة ونادى بتحرير المرأة.

• الكتاب: **تعرية الكلمات: قوائم الشدياق الفكرية بوصفها نقداً اجتماعياً وثقافياً في القرن التاسع عشر.**

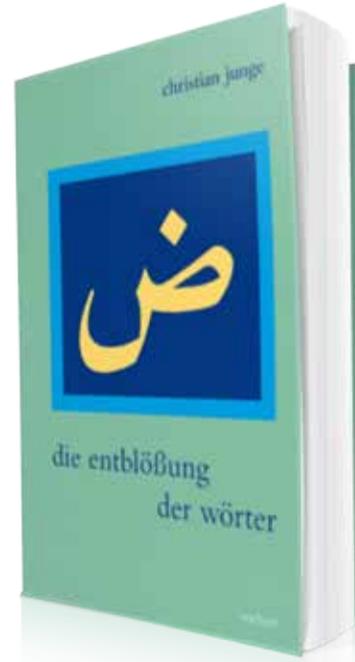
• الكاتب: **كريستيان يونغه**

• النشر: **رايشرت، فيزبادن، 2019.**

• اللغة: **الألمانية**

• عدد الصفحات: **408**

\*باحث في الدراسات الثقافية المقارنة  
الرباط/المغرب.



في الدراية والمعارف بحسب اختلاف الأموال عليها كما يظهر مما أشرت عن الفارياقية... ومن تلك المحامد أيضاً حركات النساء الشائقة وضروب محاسنهن المتنوعة التي لم يتصور منها شيء إلا وذكرته في هذا الكتاب...»

بعد المقدمة الطويلة في الغاية الأولى يوضح الكاتب الغاية الثانية باختصار مقارنة مع الأولى. يقول المؤلف إن العربية الكلاسيكية تقدم الجوانب الإيجابية والسلبية لشيء ما بمحاسن ومساوئ، لكن عند الشدياق يتعلق الأمر بذكر محاسن المرأة التي تصور فكر المرأة. وقد ناقش الباحث هذه المفاهيم ضمن مفهومين شاملين هما الجندر والرغبة. ويضيف المؤلف إن البحث في الجندر في ما بعد العصر الكلاسيكي اقتصر على مواضيع الدعارة والطلاق والرق أو الإغراء المثلي، وفي مصر ارتبطت أدوار الجندر النسوية بالنسوية والقومية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بينما بحث الشدياق مسألة المرأة في حقل البعثات التبشيرية الكاثوليكية والبروتستانتية. فأمام خلفية البعثات التبشيرية الغربية فقد تطورت منتصف القرن التاسع عشر في بيروت طبقة وسطى جديدة حضرية اجتماعية شكلياً ومثقفة تمنح المرأة دوراً جديداً كشرط تحول المجتمع والثقافة. وقد ركزت الدراسات العربية في فكر اللغة للقرن التاسع عشر على الرواد المسيحيين الذين ناقشوا تصورات عن الحضارة العربية أولاً، ثم بعدها عن القومية العربية. ويعتبر فكر النهضة اللغوي والنقاشات عن اللغة العربية منتصف القرن التاسع عشر تصورات عن الحضارة، كما أظهر شربل داغر في كتابه «اللغة العربية والتمدن، في اشتباه العلاقات بين النهضة والمناقضة والحداثة».

تكشف هذه القراءة عمماً في الساق من تجربة فكرية وتعري نقدية الحاد للمجتمع من خلال مفهوم نقد العصر، والتأمل اللغوي المرتبط بالنقد الاجتماعي الثقافي. وقد

وينظم الفصل السابع تعرية الكلمات فيسأل نقد العصر بوصفه تطبيقاً ينتهي بتعرية الكلمات كما هو مثبت في النصوص ما بعد الحداثة عند الكاتب الألماني غونتر غراس والكاتب اللبناني إلياس خوري مثلاً - أما الملحق فيوفر مصادر تاريخية عربية وفرنسية وإنجليزية وألمانية وهنغارية من القرن التاسع عشر عن الساق، من أجل فهم فكر الشدياق واستقباله عند العرب والأوروبيين. ويعتبر فارس الشدياق ذو الأصل اللبناني (1805-1887)، اليوم أحد أهم مثقفي النهضة العربية، ورواد حركة التجديد في القرن التاسع عشر. وكان له تأثير كبير بوصفه صحفياً، وناشراً ومعلمياً، قبل أن يصبح أهم المثقفين المؤثرين في الرأي العربي. كتب في باريس كتابه المبهر الساق عام 1855، وعالج فيه أسئلة عصره. وكان القرن التاسع عشر قد عرف تحولاً شاملاً في العالم من حيث الاكتشافات التكنولوجية كآلة البخار وتطور الطب وانتشار النظريات العلمية كالداروينية والمشاريع السياسية مثل القومية وأخيراً وليس آخراً الإمبريالية الأوروبية، وكانت النتيجة تغييراً جذرياً للتصورات السائدة عن العالم. وفي الإمبراطورية العثمانية التي عانت بشكل مطرد من الضغط الاقتصادي والسياسي والعسكري والثقافي، بدأ يلوح عصر إصلاح التنظيمات الجديدة. تقدم هذه الدراسة قائمة الشدياق الأدبية بوصفها نقداً للعصر، والكلمات التي تعري العالم. ففي النص الموازي بعنوان «تنبيه المؤلف» في الساق، يستخرج الشدياق الغاية من عمله في لغة وظيفية للقارئ: «جميع ما أورد عنه في هذا الكتاب فإنما هو مبني على أمرين أحدهما إبراز غرائب اللغة العربية ونواورها... والأمر الثاني ذكر محامد النساء ومذامهن...» فالغاية الأولى وهي اللغة: «أشهر ما تلزم معرفته وأهم ما تمس الحاجة إليه». وهنا لا يفهم المؤلف النحو العربي، بل المعجم العربي، ففي المقدمة تحدث الشدياق عن المترادفات من الكلمات أو الكلمات المتجانسة وقلب وإبدال الكلمات والكلمات الغريبة النادرة أو الصعبة ذات الأصل العربي القديم. ولهذا السبب يعتقد المؤلف أن النقد المعاصر قام بقراءة الساق على أنه عمل لغوي ديدكتيكي ومعجمي. وقد عرى الشدياق اللغة العربية كي يبرز غرائبها. الحال أن الذي يتعري هو الكاتب نفسه، يتعلق الأمر هنا بتعرية لغوية وتاريخية ودلالية. وتدل التعرية على حركة مضادة تخريبية، حركة ضد التيار للوضعيات أو الأفكار السائدة في القرن التاسع عشر. وهذه الحركات التجديدية المضادة مسلحة بالفيولوجية علم الأدب الفكري. ولهذا فهذه الدراسة تدرس أيضاً تجريد انشقاق الشدياق، والتي هي تأثير الخطابات المعاصرة وأيضاً نقدها. فالمؤلف يريد بهذا الحديث عن تعرية الكلمات وأهميتها، فالساق لا تشق خصائص اللغة العربية من النحو، بل من المعجم. وبينما الغاية الأولى من الكتاب تكمن في هذا الموضوع المهم والخاص للغة، استهدفت الغاية التالية «عرض محامد المرأة. فمن هذه المحامد ترقى المرأة



## الخلق والفوضى جورجيو أجامبن

علي الرواحي \*

يتطرق الفيلسوف الإيطالي جورجيو أجامبن في هذا العمل إلى مواضيع تبدو متفرقة، غير أن ما يجمع بينها كما يقول في المقدمة القصيرة جداً، هو الإمكانية والسلطة أو القوة، ذلك أن هذا العمل المكون من خمسة فصول، عبارة عن محاضرات ألقاها في معهد ميندرسيو للأثار الواقعة بين الحدود الإيطالية والسويسرية.

والخلق المادي والذي يحيل إلى الفعل البشري في المقابل، وهو ما يحمل بذور الانتقال في النمط الفكري والتحليلي للعمل الأدبي والفني، الأمر الذي جعل أجامبن يفضل استخدام مصطلح الإنتاج عوضاً عن الالتباس السابق، والغموض المحيط بفعل الخلق. إن فهم المقاومة كمقابل أو معارض للقوة الخارجية يبدو غير مفيد، وغير عملي لفهم هذا الفعل؛ ففي الفلسفة الغربية نجد أن مفهوم الإمكانية له تاريخ طويل يرجع إلى أرسطو، فهو يُقابل ويربط في نفس الوقت الإمكانية مع الفعل، في الجانبين الفيزيائي والميتافيزيقي على حد سواء، في فلسفته اللاحقة، أو فلسفة العصور الوسطى والعلم الحديث. غير أن الإمكانية تشير بدرجة كبيرة إلى توقيف الفعل، فهي بهذا المعنى ليست البوابة الأكيدة للفعل، بل تترك الباب موارباً، ولذلك فهي تبقى في حالة الاحتمال.

بهذا المعنى، من الممكن فهم مقولة دولوز الافتتاحية حول العلاقة بين الخلق أو الإبداع والمقاومة، ذلك أن كل فعل للخلق يرتبط بدرجة أو بأخرى بالمقاومة، والتي تأتي من الفعل الإغريقي (سيستو)، التي تعني أن تتوقف أو تقوم بتعليق، أو المحافظة على شيء ما، أو وضع ما، حيث من الممكن سحب هذا المفهوم خارج النطاق الفلسفي التجريدي إلى الجانب الاجتماعي عن طريق عدم الانجرار وراء القطيع، واتخاذ موقف مما يحدث في السياقات المجاورة، لأن تبني وجهة نظر خارج المجموعة ليس بالأمر السهل أو الهين.

في الفصل اللاحق، يتطرق أجامبن إلى معنى القيادة أو الأمر، حيث إنها تشير لدى الإغريق القدامى لمعنيين مختلفين مثل الكثير من الألفاظ المتداولة، حيث يذهب المعنى الأول إلى البداية، في حين أن المعنى الثاني يشير إلى أن تكون قائداً أو تتولى القيادة. وبالعودة إلى التوراة عن طريق الترجمة الإغريقية في القرن الثالث قبل الميلاد، والذي يبدأ بعبارة افتتاحية تشير إلى أنه في البدء خلق الله الجنة والأرض، ولكن ذلك تم بواسطة الكلمة، أو فعل الأمر، حيث إن أجامبن يقترح هنا تعديلاً لهذه الترجمة من «في البدء كانت الكلمة» إلى «في البدء كان الأمر».

حيث إن الإشكالية تكمن في الكلمات، منها على سبيل المثال معنى كلمة «عمل» و معنى كلمة «فن».

فبالعودة إلى عام 1967م، وهو العام الذي أصدر فيه الباحث الشاب روبرت كلاين عملاً حول كسوف أو تراجع العمل الفني، نجد أنه هاجم في كتابه الكثير من الفنانين الطلائعيين في القرن العشرين الذين حسب تعبيره ليسوا كذلك، وأعمالهم تخضع لمنطق العرض والطلب. فإذا كانت الأعمال اليوم أنشطة بدون عمل، حتى ولو أنها تهدم نفسها بنفسها عن طريق وضع سعر لكل هذه الأعمال من جهة، ولأنها منتجات بدون تفكير عميق من الجهة الأخرى، فإنه من الضروري العودة للأعمال الإغريقية الكلاسيكية، وتحديدًا إلى أرسطو وذلك للإجابة عن نفس السؤال المطروح أعلاه، وبشكل خاص في كتابه الميتافيزيقا الذي كرسه للحديث عن إشكاليات الفعل وإمكانياته.

في الفصل الثاني من هذا العمل، والمعنون ما هو فعل الخلق، يعود أجامبن إلى محاضرة الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز في عام 1987م، حيث إن تعريف هذا الأخير لفعل الخلق يوازي فعل المقاومة، وفي المقام الأول مقاومة الموت، ومقاومة البرادايغم أو النموذج الفكري والتحليلي السائد تجاه المعلومات والبيانات، وتحديدًا استعمال السلطة والذي أطلق عليه «السيطرة على المجتمعات»، وذلك بشكل مغاير عن طرح ميشيل فوكو لهذا الموضوع. فكل فعل للخلق يتضمن فعلاً للمقاومة بطريقة أو بأخرى، فعلى سبيل المثال - يقول دولوز - إن موسيقى باخ تتضمن فعلاً للمقاومة ضد تدنيس المقدس الروحي. كما يُشير فعل المقاومة بشكل مستمر إلى إمكانيات الحياة الحرة تجاه القدرات المسجونة، أو المساء إليها.

في هذا الفصل يسعى أجامبن إلى البحث في مقولة دولوز عن المسكوت عنه، أو تلك الأفكار التي لم تُقل حول فعل الخلق، وذلك من الجانب المعماري أو الفني في هذا الفعل المثال حيث نجد أن ثيولوجيا العصور الوسطى إبان شرحها لهذا الفعل، قد عادت إلى مثال استخدمه الرواقيون في الفترة الإغريقية، وهذا ما شرحه توما الأكويني، حيث فرّق بين الخلق من العدم الذي يحيل إلى القدرة الإلهية،

الفصل الأول المعنون بأركيولوجيا العمل الفني يستمد رؤيته من فكرة أنه عبر طريق الأركيولوجيا أو علم الآثار من الممكن الوصول إلى الحاضر، وذلك بالعودة لمفهوم الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو الذي يشير إلى أن التحقق من الماضي لا يعني شيئاً سوى استنطاق الماضي مباشرة لفهم الحاضر، من وجهة النظر الأوروبية التي يُشدد عليها أجامبن هنا، حيث إن وجهة النظر الأوروبية هذه تعود إلى افتراض ضمني، ومباشر، وبشكل خاص في الماضي، إلى وجود اختلافات جذرية، سياسية، دينية، واقتصادية، تتباين عن الآسيويين، والأمريكان.

فبالعودة إلى الكثير من الفلاسفة والمفكرين الأوروبيين، وبشكل خاص المفكر الفرنسي الجنسية والروسي الأصل إلكسندر كوجيف، الذي قال بأن الإنسان وصل إلى نهاية التاريخ، عن طريق جانبين أو مسارين مختلفين: الوصول إلى ما بعد الحيونة التاريخية والتي تجسدت في الحلم الأمريكي أو الطريقة الأمريكية في الحياة، في حين أن الجانب الثاني تجسد في اليابان التي واصلت الاحتفال بطقوس الشاي وتعزيزها دونما وجود معنى تاريخي خلفها.

وما بين الجانبين الأمريكي والياباني حسب المعاني السابقة، تقدم أوروبا نفسها كبديل ثقافي، حاسم، ومصيري، وبشكل خاص بعد انتشار مقولة نهاية التاريخ، ذلك لأنها تمتلك القدرة على مواجهة نفسها، من خلال تاريخها، وخلق تاريخ آخر جديد، ومسار جديد.

ولأجل ذلك، فإن الأزمة التي تمر بها أوروبا يدل عليها تفكك الجامعات والمؤسسات من جهة، وتزايد الاستياء الثقالي من الجهة الأخرى، ولا تعتبر أزمة اقتصادية، بقدر ما هي أزمة مع الماضي، وتعايش القيم القديمة مع الحاضر، الأمر الذي جعل الكثير من المؤسسات المختلفة كالجامعات والمتاحف تُعبر عن إشكالية ثقافية. وهو ما أثار سؤالاً مهماً حول أين يكمن مكان الفن في الوقت الحاضر؟ إن تعبير أركيولوجيا العمل الفني يُشير وبشكل واضح إلى وجود مشكلة ينبغي معالجتها والبحث فيها، وذلك بالاستعانة بالفيلسوف النمساوي لودفيغ فيتغنشتاين



المال، والنقود. وهذا يعني أن البنك أو المصرف ليس شيئاً آخر سوى آلة لتفريخ، وإنتاج، وإدارة الائتمان، الذي أخذ مكانة المؤسسة الدينية المتمثلة في الكنيسة، والتي تُدير العمليات الائتمانية، بما تضمن معالجه، وإدارة الإيمان، المقدس، أو الثقة غير المؤتمنة.

ولكن، مالذي يعنيه تعليق تحويل الذهب إلى الدولار من الناحية الدينية؟ يشير هذا الحدث بحسب القراءة التي يطرحها أجامبن، وفي سياق الحديث عن ديانة الرأسمالية إلى واقعة العجل الذهبي للنبي موسى، والتي ساهمت في ترسيخ وتثبيت العقيدة المُجمع عليها في تلك المرحلة، حيث إنها كانت حاسمة للتقدم باتجاه تنقية هذا الإيمان. غير أنه في سياق المال، والائتمان، نجد أنها تحررت من كل مرجعية خارجية عنها، وألغت أي صلة صمنية لها مع الذهب، مما جعلها تقوم بنفسها مقام الصنم، والمعبود. فالائتمان في هذا السياق، وجود غير مادي، حيث يعتبر محاكاة مكتملة الأركان للإيمان كما ورد سابقاً، الذي يفيد بوجود الأمل في الأشياء. ولذلك نجد أن النقود هي الإيمان بصيغته الجديدة، فهي التي أسست لديانة جديدة، مليئة بالأمل، والرجاء، والتي تم ترجمتها من الجانب الديني، والنظري، إلى الجانب السلعي، كما نجده في البضائع، والسلع التي تُباع في الأسواق.

فيما يتعلق بالتشابه بين النقود واللغة، نجد الشاعر الألماني جوته يذهب إلى أن قيمة الكلمات موازية لقيمة النقود، وهي مقولة شائعة، وواقعية، غير أنه إذا أخذنا هذه المقولة على محمل الجد نجد أنها تحيلنا إلى عوالم أعمق من هذه العلاقة، فالنقود تحيل إلى علاقة تأسيسية بين الأشياء واعتبارها كسلع، عن طريق التعامل معها بشكل تجاري، في حين أن اللغة تحيل الأشياء إلى مواضيع تُقال ويتم تداولها، ويتم التواصل معها. وفي الحالتين فإننا أمام تحول جذري قد طال المال من جهة، واللغة من الجهة الأخرى، الأمر الذي يجعل الصلة بينهما وثيقة أكثر من أي وقت مضى.

• الكتاب: الخلق والفوضى: العمل الفني والديانة الرأسمالية.

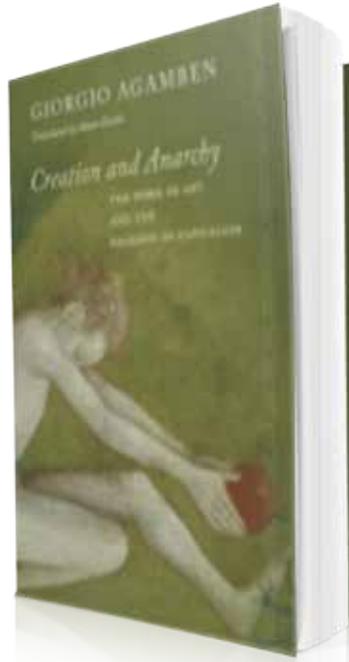
• المؤلف: جورجيو أجامبن

• الناشر: Stanford University Press, 2019

• عدد الصفحات: 104

• لغة الكتاب: الإنجليزية

\* كاتب عُمانى



نقل العالم وتحويله لعالم أفضل، بل نشر الإحباط قدر الإمكان، وهذا ما نجده واضحاً في ثلاثة من أهم فلاسفة الحداثة: نيتشه، وماركس، وفرويد، في نقدهم العميق لهذه الظاهرة.

علاوة على ذلك، من الضروري أخذ أطروحة فالتر بنجامين بكل جدية، ومناقشتها لهدف نقدها، أو تطويرها، كما يقول أجامبن، فإذا كانت الرأسمالية قد تحولت إلى ديانة، فكيف يمكن فهم تعريفها للإيمان؟ وما هي مُعتقداتها؟ وما هي مع الاحترام لهذا الإيمان تلميحات إعلان نيكسون؟

بالرجوع إلى ديفيد فلوسر النمساوي الأصل وهو المُختص في علم الأديان، نجده في بحثه عن الاستخدامات الدينية لكلمة «إيمان»، والتي أعادته لمقولة هامة، ومفضلية في التراث العبري تفيد بأن الإيمان هو جوهر الأشياء التي نأملها، والتي تمنحنا واقعية الحياة والثقة بها، وذلك من خلال الكلمة، والاعتقاد. فكلمة الائتمان المتداولة حالياً في المعاملات المصرفية، تشير في أصلها اللاتيني إلى النمط الاعتقادي، والإيماني، عندما يتعلق الأمر بتأسيس علاقة مع طرف يحتاج للحماية، أو إقراضه لبعض المال، والتي تضمن الولاء الشخصي أو الدين، أو طلب الرحمة منه، والتي تعود عليه كضمانة لدعمه.

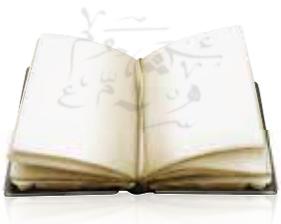
وإذا كانت فرضية فالتر بنجامين لها وجاهتها، فإنها تشير إلى وجود علاقة بين الرأسمالية والمسيحية التي تمنح هذه العلاقة الثقة، والتأكيد أن هذا الطقس متحرر من كل المواضيع، ومذنب بدون خطيئة، أو من كل إمكانية للتكفير أيضاً، لأنه من وجهة النظر الإيمانية التقليدية، فإن الرأسمالية بدون موضوع، فهي تعتقد بالإيمان النقي، والمباشر، أو الائتمان المباشر، والتي تتجسد في

بالإضافة لذلك، فإنه من المهم لفت الانتباه هنا إلى أنه «وحسب أجامبن» فإن كلمة الأصل تشير في الثقافة الغربية إلى الأمر، ففي البداية دائماً ومفهوم تذهب إلى الحكم، والأمر.

وفي هذا السياق، فإن التفكير بشكل حاسم في وظائف مفهوم البداية، أو البدء حسب تفكير وأطروحات هايدغر، الفيلسوف الألماني، نجد أن هناك بدايات لا يمكن أن تصبح من الماضي، فهي لا تتوقف عن أن تصبح من الحاضر، لأنها تتحكم، أو تُحدد تاريخ الوجود. حيث إن كلمة التاريخ وحسب أصل الكلمة الألمانية، وحسب الاستخدام الهايدغري، تشير إلى النقل، أو الإرسال، أو بتصريف من تصاريها تشير إلى الإيمان.

في فصل آخر، يذهب هذا العمل للحديث عن الرأسمالية كديانة، ويشير إلى عنوان حاسم، ومهم للفيلسوف الألماني فالتر بنجامين والذي كتبه في عام 1921م، ونُشر بعد عقود من تاريخ كتابته، حيث يعود في مُستهل هذا الفصل وكمدخل لهذا السياق، إلى العام 1971م، عندما أعلنت الحكومة الأمريكية مع الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون، عن تعليق التحويل الدولي المباشر للدولار الأمريكي إلى الذهب والتي عُرفت لاحقاً باسم «صدمة نيكسون»، وذلك لمواجهة التضخم المتزايد في الولايات المتحدة في تلك الفترة. فبحسب عمل فالتر بنيامين المُشار إليه، فإن الرأسمالية لا تحضر وبشكل مغاير لرؤى ومقولات ماكس فيبر، والذي ذهب إلى أن الرأسمالية هي علمنة للقيم البروتستانتية، بل تعتبر «كما يذهب بنجامين» في جوهرها كظاهرة دينية تطورت من خلال القيم المسيحية بشكل هامشي أو متطفل كما هو الحال في الحداثة أيضاً والتي تتحدد بثلاث خصائص مهمة، وفارقة.

ففي المقام الأول، نجد أنها ديانة طقوسية، فكل شيء يحمل معه مرجعيات مختلفة. والمقام الثاني، أن هذه الطقوس دائمة، ومستمرة، وليست مؤقتة، وذلك من خلال الاحتفال ببعض أيام الأعياد، التي نجدها في أيام نهايات الأسبوع، أو في المقابل أيام العمل الرسمي في بقية أيام الأسبوع، وهو ما نراه في الاحتفال بيوم العمال الذي يشير إلى هذه الطقوسية المستمرة والعميقة. ثالثاً، نجد أن الطقوس الرأسمالية لا تعتبر كفارة، أو بمثابة تضحية أو فداء لذنب معين سابق، بل كخطيئة يحد ذاتها. فالرأسمالية والكلام لفالتر بنجامين أول مثال على طقوس تخلق الشعور بالذنب، بدون كفارة، مما يجعلها مستمرة، وعالمية في نفس الوقت. وهي بهذا المعنى، لا تشير إلى التكفير، بقدر ما تُشير إلى عقدة الذنب المتأصلة بالمعنى الديني المسيحي، ولا تذهب إلى الأمل بقدر ما تشير إلى التدمير، فهي لا تطمح إلى



# السياسة والأنطولوجيا والمعرفة عند إسبينوزا ألكسندر ماثرون

وليد العبري \*

هذه فرصة لمن يعيشون الفكر الفلسفي الفرنسي، ويعوزهم إيجاد مدخل سهل المتناول إليه بلسانه الأصلي.. هو كتاب أحد أهم الدارسين لفكر الفيلسوف الهولندي إسبينوزا - أحد الفلاسفة الذين لا يبلى فكرهم، والذين يعاد إليهم باستمرار- وهو الدارس الذي كان قد لفت الانتباه إليه منذ كتابه الأول عن هذا الفيلسوف: «الفرد والجماعة عند إسبينوزا» 1969م. يجمع الكتاب بين دفتيه عشرين مقالاً لهذا الباحث مدارها على علم الوجود عند إسبينوزا، وعلى نظرية المعرفة، ونظرية السياسة، والنظرية الإتيقية (فلسفة أسلوب العيش)، وذلك بعقد مقارنات مهمة بين جديد إسبينوزا بالقياس إلى أسلافه والنظر إلى حوار مع مجانيته.

لكيفية تعامل الفلاسفة الفرنسيين بعد الحرب مع السياسة من خلال إسبينوزا، فإنه في حد ذاته لم يكن نصاً سياسياً، ودراسة جيولوجية المكونة من مجلدين حول الفيلسوف تقريبا غير سياسية. ويمكن للمرء أن يقارن كتاب ماثرون الأول بنقد الكاتب جين باولو سارتوري وهو نقد العقل الجدلي، ولكن يعاد كتابته على أسس سبينوزية بالكامل: فهو يشرح منطقاً اصطلاحياً صارماً للتكوين التدريجي والتنظيم، بدءاً من البساطة الجسدية للمادة الممتدة، وينتهي في الحياة الأبدية عبر الفرد من المجتمع المذهل من الحكماء، يمر عبر الاغتراب المستوطن في المجتمع السياسي لأنه ينشأ بشكل طبيعي بين البشر الخاضعين للعواطف، والتطور التدريجي لقوى العقل من داخل تلك الأشكال الاجتماعية.

ما وراء الدولة «الليبرالية»، «البرجوازية»، والمرحلة الانتقالية للحياة المعقولة بين البشر، يعلن ماثرون أن ما يريده الحكيم السبيني هو «تأسيس شيوعية من العقول: لجعل الإنسانية كلها موجودة كإجمالي واع لذاته، عالم مصغر من الفهم اللامتناهي، حيث ستصبح كل نفس، في نفس الوقت، نفسها في نفس الوقت كل الآخرين.

ويصف بيير فرانسوا مورو النص بأنه يحتوي على مهمة مزدوجة، والتي قد نسميها «جدلية» من ناحية فك رموز العواطف: التي تدفع السلوك البشري في الرسائل السياسية على أنها تلك التي تم تحليل تكوينها في الأخلاق. ومن ناحية أخرى، فإن إظهار مفتاح فهم هذه العواطف يكمن في التكوينات الاجتماعية والمؤسسات السياسية التي يتم تحليل طبيعتها في الرسائل.

وبعد ذلك بعامين، نشر ماثرون كتاباً آخر «المسيح وإنقاذ الجهل في إسبينوزا» (1971)، لطالما نضدت الطباعة ويكاد يكون من المستحيل العثور عليها اليوم. هذا الكتاب مكرس للكشف عن بعض من أصعب التوترات في كتابات إسبينوزا اللاهوتية السياسية، والتي تقع بالضبط في نقطة الربط بين السياسة واللاهوت. السؤال الأولي الذي يحرك النص يعطيه أيضاً عنوانه: كيف يمكن لسبينوزا أن يحمل باستمرار في المسائل الخاصة، أن الجهل يمكن أن يحقق الخلاص بمجرد الطاعة، وأيضاً أن الخلاص هو مسألة معرفة وحرية؟ أو مرة أخرى:

صياغة هذه التناقضات الواضحة على أساس إشكالية سبينوزية حقيقية. ولكن كما يقول ماثرون نفسه في مراجعة للمجلد الأول من دراسات جيولوجية عام 1972م، حول «كيف يمكننا إعادة تشكيل المشاكل إن لم يكن على أساس المعرفة الدقيقة للأنظمة؟» التوجه نحو الإشكاليات التي اتسمت بها العقلانية الفرنسية من باشلارد إلى ديلاز. ومع ذلك، فإن ماثرون معني بنفس القدر بمدى أهمية إسبينوزا للفلسفة السياسية، وشروط إمكانية الظهور التاريخي للسبينوزية، وقضايا التفسير وفلسفة اللغة.

وفي الحد الأقصى، تشير قراءات ماثرون إلى أنه ببساطة لا توجد تناقضات في عقيدة إسبينوزا. وهذا لا يعني أن عقيدة إسبينوزا كاملة ومتسقة بشكل غير مشكوك فيه، الحلم المحقق للمثالية المطلقة، ولكن بدلاً من ذلك تكشف أن ماثرون كشف أن ثغراتها وتناقضها ليست تناقضات غير قابلة للدوبان أو مجرد إشراف. ويبدأ ماثرون دائماً في ظل هذه التوترات، في صميم هذه المشاكل السبينوزية، كما لو كان يجذب إلى ضرورتها المعقدة بنفس الطريقة التي يرى إسبينوزا نفسه. وكما يقول فيليب دي لوشيز: «من النادر أن تلتقي بمعلق يعرف بعمق العقيدة التي يدرسها»، وهذا ينطبق بالضبط على ألكسندر ماثرون.

كان كتاب ماثرون الأول هو "Individu et communauté chez Spinoza" (1969)، وهي دراسة ضخمة للأخلاقيات التي تم نشرها في سلسلة بيير بورديو المؤثرة، والتي وصفها أنطونيو نيغري ذات مرة بأنها الأكثر مغامرة بين جميع محاولات التحليل الهيكلي للنص. كان هذا الكتاب من بين القراءات الأولى، المستمرة على الإطلاق للإصرار على مركزية الأسئلة السياسية لمشروع إسبينوزا الفلسفي، وللتجادل حول حداثة الفكر السياسي لسبينوزا، والذي كان يُنظر إليه غالباً إما على أنه تعاقدي ليبرالي، أو متغير ضال من المطلقة هوبسيان. في الواقع، من بين الدراسات الفرنسية العظيمة الثلاث حول إسبينوزا التي ظهرت في نهاية الستينيات، كانت الماركسية ماثرون هي الأكثر سياسية وذهنية. وعلى الرغم من أن تعبير جيل ديلاز في الفلسفة كان حاسماً،

إنه المصير الغريب للفلاسفة الذين كانوا غزيري الإنتاج كماركس وهيجل وسبينوزا قبله، يعاملون كما ذكر ألكسندر ماتيرون في كتابه، مثل «كلب ميت». في الواقع، من الغريب، ولكن ربما ليس من المستغرب، أن الشخصيات الرئيسية فيما كان يسمى «ثورة»، أو على الأقل «نهضة»، في منحة إسبينوزا الأخيرة بالكاد معروفة خارج الدوائر المفتوحة في بلدانهم الأصلية. بتصفح البليوغرافيا لأي عمل رئيسي عن إسبينوزا بأي لغة من السنوات الخمسين الماضية، سيجد المرء دائماً اسم ألكسندر ماثرون، على الرغم من أن أعماله لم تُترجم تقريباً، وتقديراً واسعاً لعمله، والمشاركة فيه ما زالت سلسلة "Spinoza Studies" الجديدة في مطبعة جامعة أدنبره، تهدف إلى معالجة مثل هذه الغيابات الواضحة، مما يجعل عمل علماء إسبينوزا المهمين متاحاً حديثاً لجمهور عريض.

مع نشر هذا المجلد، يسعدنا أن نقدم مجموعة كبيرة من الكتابات من قبل عالم إسبينوزا البارز ومؤرخ الفلسفة، ألكسندر ماثرون، لقراء اللغة الإنجليزية لأول مرة. لا يمكن أن يكون هناك شك في أن ماثرون قام بمفرده بأهم وأعمق المساهمات في منحة إسبينوزا على مدى المائة عام الماضية. كما يكتب لوران بوف، «الفلاسفة ومؤرخو الفلسفة معروفون بألكسندر ماثرون؛ باعتباره واحداً من أعظم المعلقين، إن لم يكن أعظمهم، على فلسفة إسبينوزا».

عند قراءة المقالات التي تم جمعها في هذا الكتاب، لا يسع المرء إلا أن يتعاطف مع إبطاء باليبار: نهج ألكسندر ماثرون كثيراً ما يستمر من خلال تحديد التناقض الواضح أو، وبدلاً من البحث في مكان ما وراء النص، كما كان، من أجل حله، أو حتى في نوع من الحركة التفكيكية، التي تعلن وجودها حالة من الاحتمالية أو استحالة لتماسكها المنهجي، تسعى بدلاً من ذلك إلى تحديد وتعبئة الموارد الفلسفية الداخلية للعقيدة نفسها؛ التي تحيد التناقض وتبعده. هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن أولئك الذين يرون الصراعات والتناقضات في نصوص إسبينوزا ببساطة مخطئون أو قصيرو النظر، ولكن بالأحرى فإن المشاكل الحقيقية لا تنشأ إلا بعد إعادة



کتابته فی الأصل لمجلة الحزب الشيوعي الفرنسي، كل هذه الانعكاسات السياسية فی رواية مضاربة شاملة تلعب دورا جوهريا فی تكوين المجتمع السياسي، والاعتراب المصاحب له، واحتمال تجاوز الأفاق القائمة لشكل الدولة الحديثة من خلال قوى العقل، كل ذلك من منظور نظرية إسبينوزا للسلطة.

تتناول الفصول القليلة التالية «مشاكل» محددة فی الانعكاسات السياسية والأنتروبولوجية لاسبينوزا. فی هذه المقالات، تناول ماثرون علاقة إسبينوزا بنظرية الملكية فی القرن السابع عشر (الفصل ۱۵)، ومسألة الجنس فی فلسفته المنهجية (الفصل ۱۶)، واستبعاده النساء والخادمت من المشاركة فی الدولة الديمقراطية التي يتوخى (الفصل ۱۷). يحذرنا ماثرون من عدم التحرك بسرعة كبيرة فی إدانة إسبينوزا فی هذه الأمور من موقفنا التاريخي الخاص، والذي قد يبدو عليه من الواضح أنه تراجع ولا يمكن الدفاع عنه، ولكنه يرفض أيضا تبرير مواقفه على أنها مجرد «منتجات وقتهم». وبدلا من ذلك، تسعى تحليلاته إلى شرح كيف ولماذا رأى إسبينوزا هذه المواقف على أنها نتائج متناسقة حقا، إذا كانت مزعجة، من نهجه الفلسفي فی الحياة السياسية والأخلاقية فی ظل ظروف لا يكون فيها للعقل اليد العليا بشكل واضح على العواطف، التي تحدد بقوة رغبات وسلوك الغالبية العظمى من البشر.

ويُمكن وصف الفصول المتبقية بأنها دراسات مقارنة. نجد فيها ماثرون يتناقض مع إسبينوزا وهوبز حول موضوع العلاقة بين السلطة والحق، حيث يجادل بأن نقد روسو الشهير لـ«حق الأقوى» يخطئ العلامة فی كلتا الحالتين ولكن لأسباب معاكسة (الفصل ۱۸). ويقارنهم أيضا بموضوع الديمقراطية، بحجة أن شرح هوبز لمفهوم التفويض فی حسابه للعقد الاجتماعي، بين دي سيبي وليفاثان، تم تصميمه لتحل محل الأسبقية النظرية التي منحها عمله السابق دون قصد إلى السيادة الديمقراطية، أولوية يؤكد عليها إسبينوزا بشكل لا لبس فيه (الفصل ۱۹). الفصل الأخير (الفصل ۲۰) يشكل حجة طويلة ومعقدة لنظرية الفلسفة السياسية السبينوزية، والتي، كما يدعي ماثرون، هو أول الهاريين من الرابط المزدوج للوضعية الوهمية والمثالية غير المجدية. لكن هذا الحساب له تطور تاريخي مادي: إذا كان إسبينوزا، وفقا لماثرون، قادرا على التحايل على هذا المأزق نظريا، فذلك فقط لأن الممارسات السياسية الفعلية للمكيافيليين (وليس، أي أعمال مكيافيلي نفسه) قد صنعها لأول مرة من الممكن فهم الطبيعة الحقيقية لهذه المشكلة.

- الكتاب: «السياسة والأنطولوجيا والمعرفة عند إسبينوزا».
- المؤلف: ألكسندر ماثرون.
- الناشر: جامعة إندبره، 2020م.

\* كاتب عُماني



الأساسية الأربعة»: الشفقة والحسد وطموح المجد وطموح الهيمنة. كما يوضح، كل هذا يتبع تقليد التأثيرات، حتى فی حالة الطبيعة الافتراضية، والقطع الزائد، وينتج كل منهما الآخر فی دورة لا نهاية لها مدفوعة بالسخط؛ وهذا، كما يجادل، كاف فی حد ذاته لمرعاة الإنشاء الواقعي لإمبريالية ديمقراطية وتشكيل المجتمع السياسي. تسمح هذه القراءة المبتكرة لماثرون بالحفاظ على أن إسبينوزا يطور حسابا غير متعاقد بشكل جذري حول نشأة الدولة المدنية، وحتى دون الحاجة إلى اللجوء إلى أي حساب نفعي من جانب أي فرد. لكن الدور الحاسم الذي يلعبه السخط فی هذه القصة أيضا، كما يحرص على التأكيد، يستلزم وجود شيء لا يمكن إصلاحه (بالمعنى التقني لمصطلح إسبينوزا) على أساس جميع المجتمعات السياسية، وهي آلية فعالة للقمع وأساس اجتماعي للكراهية غير القابلة للاختزال، باتباع مكيافيلي، وربما توقع بعض رؤى نيتشه وفرويد. بهذه الطريقة، يمكن أن تكون تحليلات ماثرون الرصينة بمثابة تصحيح مفيد لأولئك الذين يرون فی إسبينوزا سياسة إيجابية بحتة وسعيدة، دون تلوث بأي سلبية.

يستمر تحليل ماثرون لطبيعة السياسة إسبينوزا فی الفصول القليلة التالية، التي تتعامل مع الوضع الأنطولوجي لشيئين محددتين ومدهشين: الدولة نفسها (الفصل ۱۲)، والكتاب المقدس (الفصل ۱۳). كلاهما، كما يجادل ماثرون بشكل مقنع، مؤهلان كأفراد، بالمعنى الدقيق للضد لدى إسبينوزا، على افتراض أن بعض الشروط الخارجية المهمة قد استوفيت. وبتأكيد الفردية الوجودية للدولة والكتاب المقدس، يلخص ماثرون بعض الموضوعات المهمة من دراساته السابقة: يجب أن يفهم كل منهم على أنه يمتلك جهازه المناسب، ويفتح تحليله على الأسئلة المتعلقة بالاستقلالية النسبية للإنتاج الاجتماعي والأيدولوجي، وتصور الاستنساخ كعمليات تاريخية ملموسة. بعد ذلك، يلخص (الفصل ۱۴)، الذي تمت

كيف يمكننا التوفيق بين عقلانية إسبينوزا المطلقة، والتي تظهر بوضوح فی نقده القاسي لأي معرفة محتملة لله من خلال المعجزات، مع إصراره على أن حقيقة الخلاص عن طريق الطاعة لا يمكن الوصول إليها عن طريق العقل، ولكن فقط من خلال الوحي؟ فی الواقع، وبالنسبة لإسبينوزا، كان معنى المسيح، ذلك النبي الأعزل المدمر الذي سُيد بامتياز فی مسائل النوع الثالث من المعرفة، كان، من بين أنماط محدودة، الشخص الذي ظهرت من خلاله فكرة الله لأعلى درجة حصلت عليها حتى الآن؟ يرفض ماثرون تماما كل حل سهل لهذه العضلات، ويصر على اتساق فكر إسبينوزا والضرورة المفاهيمية والتاريخية لهذه المشاكل نفسها.

والنتيجة هي عمل مذهل للإنتاجية الفلسفية، والذي يوضح المفاهيم التي يمتد معناها إلى ما هو أبعد من النطاق الباطني لتركيزه الواضح؛ إنه نص حول الاحتمالية والضرورة التاريخية، حول المنطق الملموس للانتشار الإيديولوجي والانتكاس، حول قوة الخيال وتفاعل الديناميكيات الاجتماعية المعقدة فی الدستور التاريخي لحقيقة تتطلع إلى العالمية الراديكالية. كما يوضح نيغري، يوضح لنا ماثرون فی هذا العمل كيف بالنسبة لإسبينوزا، «يتم إعادة تفسير إشكالية الخلاص الدينية بالكامل فی ضوء هذا المنظور العلماني والمادي للتحرير».

لقد اخترنا تنظيم الفصول فی هذا المجلد حسب الموضوع.. تم تجميع المجموعة الأولى من المقالات تحت عنوان (Spinoza on Ontology and Knowledge) .. إنها تتعلق بما قد يبدو مشاكل تقليدية نسبيا للميتافيزيقيا والمعرفية: الطبيعة الانعكاسية المتأصلة للأفكار فی إسبينوزا من أقرب أعماله، إلى أعماله الأكثر نضجا؛ التطور التدريجي للميتافيزيقيا للسلطة فی إسبينوزا وعلاقتها بالفيزياء (الفصول من ۲-۴)، والمفاهيم الصعبة المعروفة للحياة الأدبية والمحبة الفكرية لله فی الجزء الخامس من الأخلاق (الفصلان ۵ و ۶). حتى على هذا المستوى الميتافيزيقي المجرّد ظاهريا، فإن قراءة ماثرون لاسبينوزا لها إياحات سياسية مهمة؛ كما يلاحظ ماثرون نفسه فی المقابلة الملحقة بهذا المجلد، كان يعتقد أن «الخلود» حياة المجاهد، والذي بدا لي أنه أفضل مثال على كفاية وجودنا لجوهرا.

المجموعة الثانية أكبر بكثير من المقالات التي تم تجميعها تحت عنوان «إسبينوزا حول السياسة والأخلاق». هناك تداخل مواضيعي كبير عبر جميع هذه الفصول تقريبا، ولكن يمكن تقسيمها مؤقتا إلى مجموعات أصغر تشترك فی تركيز معين. تتضمن الفصول من ۷ إلى ۱۱ قراءة ماثرون لأمر إسبينوزا، فی الفصل الأول من الرسالة السياسية، بأنه يجب علينا «البحث عن الأسباب والأسس الطبيعية للدولة، ليس من تعاليم العقل، ولكن من الطبيعة أو الحالة المشتركة، من الرجال، كما يؤكد ماثرون مرارا وتكرارا، وهذا يعني: على أساس التأثيرات السلبية.

وفي الواقع، نجد فی هذه الفصول واحدة من أكثر مساهمات ماثرون الأصلية، وهو ما يشير إليه أحيانا باسم «التأثيرات



## الهاوية: المخاطر الوجودية ومستقبل الإنسانية.. توبي أورد

فينان نبيل \*

وقف العالم على حافة «الهاوية» في القرن الماضي؛ حيث كان على شفا حرب نووية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي «سابقاً» (أكتوبر 1962)، حيث حملت غواصة سوفيتية أرسلتها روسيا ضمن أربع غواصات لدعم عملياتها العسكرية في كوبا سلاحاً سرياً «طوربيد نووي»، بقوة متفجرة ماثلة لقبلة هيروشيما. وكانت قد سبقتها بأسبوعين أزمة الصواريخ النووية، التي كشف الاستطلاع الجوي الأمريكي بأدلة مصورة أن الاتحاد السوفيتي قام بتركيبها في كوبا، ويُمكنها أن تضرب الولايات المتحدة مباشرة. وردا على ذلك، فقد حاصرت الولايات المتحدة البحار حول كوبا، ووضعت خطاً لرفع قوتها النووية في حالة تأهب لم يسبق لها مثيل كخطوة نحو حرب نووية، ولم يمنع تلك الحرب إلا عدم حصول القائد «ساتيفسكي» على أوامر من موسكو بالإطلاق، ولا أحد يعلم على وجه التحديد ماذا كان سيحدث إن تمّ منح تلك الموافقة.

حرارية واحدة طاقة أكثر من كل المواد المتفجرة المستخدمة في مجمل الحرب العالمية الثانية، وأصبح من الواضح أن الحرب بهذه الأسلحة ستغير الأرض بطرق لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية. بدأ قادة العالم وعلماء الذرة والمفكرون أخذ احتمال أن تؤدي الحرب النووية إلى نهاية البشرية على محمل الجد، إما من خلال الانقراض أو الانهيار الدائم للحضارة، وإما بسبب التداخات الإشعاعية والأضرار التي لحقت بطبقة الأوزون؛ مما أثر على المناخ والأمطار والزراعة، وتسبب في أزمة الغذاء، أو بسبب الانفجارات النووية المباشرة التي تعقبها وفيات لا حصر لها؛ مما قد يهدد بقاء البشرية نفسها وتبديد كل تقدم حققه أسلافنا، وكل تقدم يمكن أن يحققه أحفادنا.. بدأ عصر جديد للإنسانية.

تظهر تهديدات جديدة مع استمرار تقدم التكنولوجيا الحيوية، فقد أدى اكتشاف الشيفرة الوراثية لإحداث تغييرات جينية في النبات، والحيوان، وحققت التكنولوجيا الحيوية تحسينات كبيرة في الطب والزراعة والصناعة، لكنها أيضاً سببت مخاطر للإنسانية نفسها: فقد طورت خمس عشرة دولة برامج تسليح بيولوجية، منها الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وفرنسا، وأضخم البرامج كان في روسيا، التي تحتوي على عشرات المختبرات السرية، وتوظف آلاف العلماء لتسليح الأمراض. قد تدفع سياسة الردع القوى العظمى إلى مغازلة الحرب البيولوجية، بيد أن الحرب البيولوجية غير مأمونة العواقب، من حيث تأمين انتشارها مما يدفع الدول إلى استخدام أسلحة أخرى.

وقد تنشأ المخاطر عن الأبحاث العلمية والطبية، التي يتضمن جزء صغير منها البحث في صنع سلالات من مسببات الأمراض، وزيادة قابليتها للانتقال والفتك، أو مقاومة التطعيم أو العلاج، فقد نشر عالم الفيروسات الهولندي «رون فوشيه» تفاصيل عن تجربة على سلالة

لتأمين الغذاء، ثم إعادة زراعة البذور، والحصول على محاصيل أفضل. الثانية: الثورة العلمية، أحدثت تحولا ضخما في تاريخ البشرية، بدأت جذورها عند علماء العالم الإسلامي ومنها إلى أوروبا، ثم طورت البشرية المنهج العلمي القائم على الملاحظة الدقيقة، والتفسير وفرض الفروض القابلة للاختبار، ومعرفة أحوال الطبيعة جعلت الإنسان قادراً على تسخيرها لتحسين العالم، وأدى التسارع في المعرفة إلى الابتكار التكنولوجي، مما منح البشرية سيطرة متزايدة. الثالثة: الثورة الصناعية؛ ساعد في ذلك اكتشاف كميات هائلة من الوقود الحفري «الفحم»، وتم تحويل الطاقة الكيميائية المخزنة للفحم إلى طاقة ميكانيكية في المحرك البخاري، لدفع الآلات؛ مما سمح بتحويل المواد الخام إلى منتجات بشكل أسرع وتكلفة أقل، وأصبح من السهل نقلها عبر السكك الحديدية لتوزيع المنتجات عبر مسافات طويلة. سمحت الثورة الصناعية للدخل أن ينمو بشكل أسرع من السكان، ويؤدي إلى ارتفاع غير مسبوق في الرخاء يستمر حتى يومنا هذا، وتحسنت الحياة ليس فقط من حيث الظروف المادية، بل في التعليم والصحة. لم تكن آثار تلك التحولات إيجابية دائماً؛ فقد أدى استخدام الطاقة الحفزية إلى إصدار غازات ملوثة للبيئة وتهديد بعض الأنواع بالانقراض، وتضرر الأنظمة الإيكولوجية، وجاء الارتفاع الكبير في الرخاء الذي أحدثته الثورة الصناعية على خلفية الارتفاع السريع في انبعاثات الكربون، ونما التأثير الجانبي البسيط للتصنيع في النهاية ليصبح تهديداً عالمياً للصحة والبيئة والاستقرار الدولي وربما حتى البشرية نفسها.

أصبح مستقبل البشرية بأكمله على المحك مع تضجير القبلة الذرية الأولى، وشكلت الأسلحة النووية تغييراً كبيراً في القوة البشرية، فتسببت قنبلة واحدة في «هيروشيما» في إلحاق الضرر بالآلاف، وحملت قنبلة نووية

من الواضح أننا كنا سنقترب من حرب نووية؛ فلا يعتقد أحد أنه لو تعرضت القوات الأمريكية للهجوم النووي، أنها ستمتنع عن الرد برؤوس نووية؛ مما يؤدي إلى كارثة كونية مطلقة، وإن كان الحظ لعب دوراً وجنبنا الكارثة آنذاك، إلا أننا لا يمكننا الاعتماد على الحظ للأبد، خاصة وأن هذه القدرات التدميرية تستمر في النمو، تمتلك كوريا الشمالية أيضاً رؤوساً نووية أقل بكثير من روسيا أو الولايات المتحدة، إلا أن الحرب النووية معها ستكون كارثية. وإن كانت لا تشكل حالياً تهديداً كبيراً لإمكانات البشرية، إلا أنها قد تشكل تهديداً على المدى الطويل، بينما لا تزال معظم المخاطر الوجودية من الأسلحة النووية اليوم، تأتي من الترسانات الأمريكية، والروسية الهائلة، ويتم تطويرها باستمرار، وتشعل التغييرات في المشهد الجيوسياسي سباق تسلح آخر بين القوى العظمى.

قسم الكاتب المخاطر التي يعاني منها عالمنا إلى ثلاثة أنواع: طبيعية كالزلازل والانفجارات البركانية، والنجمية، ومخاطر يصنعها البشر مثل تغير المناخ، والأضرار البيئية، والمخاطر النووية، والأخطار المستقبلية تتمثل في الأوبئة، والدكاء الاصطناعي المتقدم. ويرى رغم كل هذه المخاطر أنه يمكننا الانسحاب من الهاوية، وخلق مستقبل ذي قيمة مذهلة، ويرى أن البشرية لديها إمكانات هائلة، ولدينا الكثير لنفعله لحمايتها.

منح العلم الإنسان قوة هائلة سيطر بها على العالم، فبدأ سلسلة من الإنجازات العظيمة منذ اكتشاف النار، وأصبح أقوى المخلوقات على الأرض، ولم يكن يتميز جسدياً بقدر تميزه بالذكاء والإبداع واللغة، مما عزز قدرته على البقاء، ومنحه الهيمنة على سائر الكائنات «لم يكن الإنسان بل كانت الإنسانية»، انتقلت هذه القوة عبر عصور ومراحل إلى أن وصلت إلى عصرنا.

مرت البشرية بثلاث ثورات كبرى؛ الأولى: الثورة الزراعية



وهذا يثير صعوبات كبيرة في كيفية تشكيل تقديرات احتمالية لاستخدامها في صنع القرار. تتجلى هذه المشكلة بالفعل في أبحاث تغير المناخ وتسبب صعوبات كبيرة في وضع السياسات، كما قال كارل ساغان: «النظريات التي تتضمن نهاية العالم ليست قابلة للتحقق التجريبي - أو على الأقل، ليس أكثر من مرة».

يجب علينا معالجة هذه التحديات بالتفكير الواضح والدقيق، مُسترشدين برؤية إيجابية للمستقبل البعيد الذي نحاول حمايته، فلا يمكننا البقاء على قيد الحياة لعدة قرون بمخاطر كهذه. حماية الإنسانية منفعة عامة عالمية؛ مما يخلق الحاجة إلى تنسيق دولي بشأن المخاطر الوجودية، والمشاركة في تكاليف السياسات كما نتشارك في الفوائد، فقد تعمل الدول أحياناً من أجل المصلحة الأكبر للبشرية جمعاء.

لقد تخلفت الحكمة البشرية عن ركب التقدم بشكل كبير، وهناك فجوة تتسع بين القوة والحكمة. نحتاج لاكتساب هذه الحكمة للوصول إلى الثورة الأخلاقية، ولأن اكتساب الحكمة أو بدء ثورة أخلاقية يستغرق بعض الوقت، فيجب أن نبدأ الآن. يكفي هذا المدى الزمني لإصلاح الضرر الذي ألحقناه بالأرض. في غضون آلاف السنين سوف تتلاشى جميع النفايات الحالية تقريباً، إذا تمكنا من التوقف عن إضافة تلوث جديد، فستكون المحيطات والغابات خالية من العيوب مرة أخرى. في غضون مائة ألف عام، ستقوم الأنظمة الطبيعية للأرض بتنظيف غلافنا الجوي بما يزيد على تسعين في المائة من الكربون الذي أطلقناه، تاركين المناخ متوازناً، ويمكننا أن نتطلع إلى العيش معظم أيامنا في عالم خالٍ من ندوب الأوقات غير الناضجة.

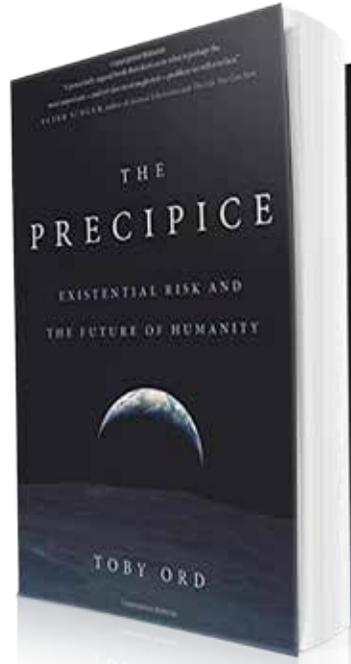
تظهر المخاطر نتيجة العمل البشري، وعلى البشر أن يتصدوا لها، بقاء البشرية على قيد الحياة بعد هذا العصر هو خيار بشرية ذاتها، لكنها مهمة ليست سهلة، وتتوقف على السرعة التي يمكن أن نفهم بها قبول مسؤوليات جديدة. تتعرض البشرية لأخطار متزايدة لا يمكن تحملها في المستقبل، مما يخضعها لاختبار طويل على مدى القرون القليلة المقبلة، وإما أن تعمل بشكل حاسم لحماية نفسها، وإمكاناتها على المدى الطويل، أو ستضيع إلى الأبد.

• الكتاب: "الهاوية.. المخاطر الوجودية ومستقبل الإنسانية".

• المؤلف: توبي أورد.

• الناشر: "هاشيت، نيويورك، 2020، بالإنجليزية

\* كاتبة وباحثة مصرية

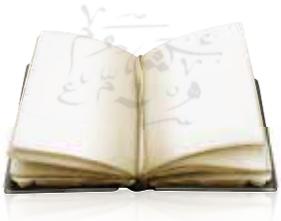


المخاطر الوشيكة والبعض الآخر لبناء القدرات والمؤسسات. يواجه فهم الكوارث والتنبؤ والتعامل مع المخاطر الوجودية ومنعها عدة تحديات؛ منها: أننا لا يمكننا الاعتماد على «الحدس»؛ فالكوارث لا تحدث إلا مرة واحدة على مدى آلاف السنين، فكيف لإحساسنا البديهي أن يتوقع أحداث نادرة جداً، كما أننا لا نستطيع تحمل الفشل ولو مرة واحدة، مما يقلل من قدرتنا على التعلم من المحاولات والخطأ، وغالباً ما تدير الإنسانية المخاطر من خلال الاعتماد على التجربة والخطأ، فتوسع نطاق الاستثمار بناءً على الأضرار التي شهدتها سابقاً، لكن نهج التجربة والخطأ التفاعلي قد يصلح في المخاطر الصغيرة والمتوسطة المدى، ولا يصلح على الإطلاق عندما يتعلق الأمر بالمخاطر الوجودية؛ فهي تحتاج إلى اتخاذ تدابير استباقية، ذات تكاليف كبيرة، وأحياناً لا يكون يكون واضحاً ما إذا كانت المخاطر حقيقية، أو ما إذا كانت تلك الإجراءات ستعالجها. يتطلب هذا الإجراء تنسيقاً سريعاً بين العديد من دول العالم أو جميعها، وقد يتعين القيام بذلك ونحن لا نعلم ما إذا كانت إجراءاتنا المكلفة قد ساعدت حقاً. سيتطلب هذا في نهاية المطاف مؤسسات جديدة مليئة بالأشخاص المتحمسين ممن يتحلون بالعقل والحكم السليم، مدعومين بميزانية كبيرة ونفوذ حقيقي على السياسة، وهذه ظروف صعبة للغاية لصنع السياسات السليمة، وربما تتجاوز قدرات حتى أفضل المؤسسات أداءً اليوم، لكن هذا هو الوضع الذي نحن فيه، وسنحتاج إلى مواجهته. هناك حاجة ملحة لتحسين قدراتنا المؤسسية لتلبية هذه المطالب، والتحدي الثالث هو المعرفة؛ لا نستطيع وضع الاحتمالات طويلة المدى لوجود مخاطر وجودية. ورغم ذلك علينا أن نتخذ قرارات ذات أهمية بالغة دون الاستناد إلى احتمالات قوية

H5N1 من إنفلونزا الطيور، وهي مميتة للغاية؛ مما أسفر عن مقتل ما يقدر بنحو 60% من البشر المصابين، ولكن عدم قدرتها على الانتقال من إنسان إلى إنسان حال دون حدوث جائحة، وأراد «فوشيه» معرفة ما إذا كان يمكن أن يطور قدرة H5N1 بشكل طبيعي، فطبق المرض على عشرة قوارض تستخدم عادة للتجارب، وبمرور الوقت أصبحت سلالة قابلة للانتقال مباشرة بين الثدييات. تسبب هذا العمل في جدل حاد، بحث فويشر مثلاً واضحاً للعلماء ذوي النوايا الحسنة الذين يعززون القدرات التدميرية التي قد تهدد بكارثة عالمية. يتم إجراء مثل هذه التجارب في مختبرات آمنة، وتطبق معايير السلامة بصرامة، ومن المستبعد جداً أن تهرب مسببات الأمراض المعدلة إلى البرية. نحن بحاجة إلى تقارير متسقة وشفافة عن الحوادث، لكن حتى الأدلة غير المكتملة التي لدينا تتضمن عدداً كافياً من الحالات المؤكدة لمعرفة أن معدلات الهروب مرتفعة بشكل مقلق، ولا يمثل أي من حالات الهروب الموثقة هذه خطر حدوث كارثة وجودية بشكل مباشر، لكنها تظهر أن تأمين مسببات الأمراض الخطيرة كان معيباً للغاية، ولا يزال غير كاف.

وينتقل أورد إلى المخاطر المستقبلية، وتشمل الأوبئة والدكاء الاصطناعي. فيما يخص الأوبئة، شهدت السنوات العشر الماضية اختراقات نوعية كبيرة، وزرع جينات جديدة، وتخليقاً كاملاً للفيروسات، وتربيتها بصفات مختلفة، وتسلسل جينوماتها. وعلى الرغم من تضييق بعض الأمراض، فإنه لا يوجد دليل قاطع على أن هناك محاولات متعمدة لخلق أمراض تهدد البشرية جمعاء.

ويضع الكاتب إستراتيجية تسيير في ثلاث مراحل من أجل الحد من المخاطر؛ أولها: الحفاظ على الأمن الوجودي، ويتعلق بتقليل إجمالي المخاطر الوجودية بأكثر عدد ممكن من النقاط المثوية، والوصول إلى نقطة أمنة تنخفض فيها المخاطر البشرية من أجل الحفاظ على الإنسانية، ويتطلب ذلك تغييرات على المدى القريب في مؤسساتنا. ومن الأفكار الرئيسية التي تحفز الأمن الوجودي أنه «لا يوجد عقبات كبيرة أمام البشرية دامت لفترة طويلة». ثانياً: التحقق من إمكاناتنا وذلك لا يتطلب التنبؤ بالمستقبل بقدر ما يتطلب أن نأخذ المخاطر الجديدة على محمل الجد وإدارتها بنجاح أو تجنبها بالكامل، وقد يكون هدفاً مستحيلاً، وقد تؤدي محاولات تحقيقه إلى نتائج عكسية. إن الاستمرار في تقليل المخاطر تدريجياً مع مرور القرون، هو الطريقة المثلى لجعل المخاطر الإجمالية على مستقبلنا بأكملها تظل صغيرة، ويمكننا اعتبار الحفاظ على إمكاناتنا شكلاً من أشكال الاستدامة الوجودية. ثالثاً: التأمل الطويل يجعل الفشل مستحيلاً، ويمكننا العمل على هذه المسارات بالتوازي، مع تكريس بعض جهودنا للحد من



## فن الأسفار المقدسة الضائع كارن آرمسترونج

عبدالرحمن السليمان \*

هذا كتاب متميز بجميع المعايير.. متميز بكاتبته كارن آرمسترونج، وهي واحدة من أهم الكتاب في العالم الذين كتبوا في الدين والظاهرة الدينية بشكل عام. وتميز لأنه جمع بين دفتيه أكبر كم من المعلومات التي يمكن جمعها بين دفتي كتاب من ٦٧٩ صفحة. وتميز لأنه يقارب موضوعه - وهو الأسفار المقدسة للديانات العالمية - مقارنة غير مألوفة في الفكر الغربي الحديث. تتمثل مقاربتها، أو فكرة الكتاب الرئيسية، في أن الناس في الغرب لم يعودوا يعرفون شيئاً يذكر عن الأسفار المقدسة للديانات العالمية، وأن العارفين بها منهم أصبحوا يجهلون كيف يقرؤون تلك الأسفار، فيكتفون بقراءتها لمعرفة محتواها فقط أو لأنه يمثل لهم الحقيقة المطلقة. وترى أيضاً أن الأسفار المقدسة «فن يبدو أن العالم الحديث قد خسره»، وخسر كيفية ممارستها معه. وتعتقد أن في عدم قدرة الغربيين على «ممارسة فن الأسفار المقدسة» خسارة كبيرة لهم؛ لأنها ترى أن قراءة تلك الأسفار كما هي تؤثر إيجابياً في القارئ وتضفي على حياته قيمة روحانية سامية.

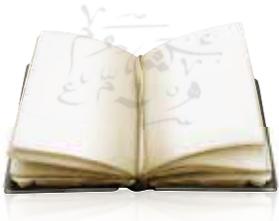
بعهديه القديم والحديث، وقد عبر الإصلاحيون البروتستانت عن موقفهم هذا بالشعار الشهير (Sola Scriptura) أي «الكتاب المقدس فقط»، الذي اعتبره الإصلاحيون المصدر الوحيد للديانة النصرانية. وبالإضافة إلى هذه الإشكالية - إشكالية رفض السنن والاقتران على الكتاب المقدس - نشأت مشكلة النص المعياري الذي ينبغي تقنيه واعتماده، والتي جاءت نتيجة حتمية لمشكلة الأصل التاريخي للكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث. فالعهد القديم - ويحتوي على أسفار اليهودية - روي بالعبرية باستثناء أجزاء صغيرة من سفر دانييل وسفر عزرا روي بالآرامية. وكانت اللغة العبرية التوراتية مستعملة حتى السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد. تراجعت العبرية التوراتية لغة محكية، وأصبحت لغة دينية فقط لا يفهمها إلا الأحرار، وحلت الآرامية بعد السبي البابلي محلها بالتدريج، وبقيت الحال هكذا حتى احتلال الإسكندر المقدوني المشرق وبناء الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد. سكن الاسكندرية، فيمن سكنها، طائفة من اليهود الذين أصبحوا يتحدثون باليونانية. استعجم كتاب العهد القديم، الذي جُمع وقتئذٍ بعد السبي البابلي، على هذه الطائفة اليهودية الساكنة في الإسكندرية لأن أفرادها صاروا يتحدثون باليونانية في وقت أصبحت العبرية فيه لغة دينية فقط لا يفهمها إلا الأحرار. قام هؤلاء الأحرار حوالي ٢٥٠ قبل الميلاد بترجمة أسفار العهد القديم إلى اليونانية. تسمى هذه الترجمة بالترجمة السبعينية (Septuaginta)، وهي أقدم ترجمة لأسفار العهد القديم إلى لغة أخرى. وهي ترجمة حرفية احتوت على كل الأسفار التي كان كتاب العهد القديم يحتوي عليها آنذاك. وعليه؛ فإن الترجمة السبعينية هي ترجمة يونانية للنص العبري للعهد القديم كما كان اليهود قننوه واعتمده بعد السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد. ويحتوي هذا النص المعتمد لديهم على ٤٦ سفرًا. ثم نشأت الديانة المسيحية التي أصبحت ترى في أسفار اليهود الدينية المرجعية الدينية والبعد اللاهوتي لها، وأدى هذا المعتقد إلى تشويش الأمر الديني لدى اليهود؛ لأن الديانة المسيحية أصبحت منذ نشوئها تقسم التاريخ البشري إلى عهدين اثنين: العهد القديم وهو عند المسيحيين العهد الذي اصطفى الله فيه آل إسرائيل والذي كان عندهم بمثابة التمهيد لمجيء المسيح عليه السلام، الذي افتتح بمجيئه عهداً جديداً للبشرية أنهى العهد القديم بما فيه اصطفاؤه

تكون بنية ترجمة معاني النص الديني إلى الواقع والعمل به من جهة أخرى. تقول: «لا تُقرأ هذه النصوص قراءة همسية بل تُقرأ قراءة جهرية. والقراء الجهرية غير ممكنة في الهند بدون معلم؛ لأن هذه النصوص لا تُفهم ولا تُستوعب أبداً إلا إذا صاحبها التأمل والتمارين الأخلاقية». أما القضايا النصية، فهي غير ثابتة بل متحركة. وهذا التقليد الآسيوي الذي نجده في الديانتين الهندوسية والبوذية، نجده أيضاً في التقليد اليهودي المسيحي. فإلى جانب التوراة التي أنزلت على موسى في طور سيناء، أنزلت عليه أيضاً - حسب التقليد اليهودي - توراة ثانية تدعى (مِشناه < מִשְׁנָה) أو «التوراة الثانية». وتقول التقاليد اليهودية إن التوراة الأولى نزلت مكتوبة في الألواح، بينما أوحيت التوراة الثانية أو المشناه شفاهة، فرواها موسى لأحبار بني إسرائيل الذين رووها بدورهم شفاهة من جيل لجيل حتى دونها الحبر يهودا هاناسي (١٣٥-٢٠٠ ميلادي). والمشناه أو التوراة الثانية هي بمثابة شروح على التوراة الأولى المكتوبة تنسب إلى مائة وعشرين حبراً من أحبار اليهود يسمون بال«تتائيم»، أي: «المعلمون المُتُون». وتكون المشناه متن التلمود وهو شريعة اليهود وفقههم. وهذا يجعل من النص المقدس عند اليهود نصاً ذا شقين شق ثابت (التوراة المكتوبة) وشق متحول (التوراة الثانية / المشناه) التي درج التقليد اليهودي بشأنها (وفي الحقيقة بشأن التوراتين الاثنتين) على إطلاق العنان لخياله التفسيري إن صح التعبير كي يؤقلمها ويحييها مع السياقات المختلفة التي فرضت نفسها على اليهودية عبر التاريخ. ومثل هذا التقليد نجده، بطريقة أو بأخرى، في الديانة النصرانية أيضاً، حيث دأب أوائل النصراني على قراءة النص المقدس - خصوصاً أسفار العهد القديم المضطربة - قراءة مجازية وليس حرفية الدلالة، وذلك من أجل تفعيل البعد الروحي والأخلاقي والوجداني للنص. وهذا التفعيل غير ممكن عند عزل النص عن واقعه التاريخي وعن معيشته بجميع أبعاده العقلانية والعاطفية والوجدانية، وعند إخضاعه إلى قراءة عقلانية جافة بدون أخذ عتباته العديدة بعين الاعتبار. وتعزو الكاتبة المقاربة الغربية «الجافة» لقراءة الأسفار المقدسة للديانات العالمية المختلفة إلى تطورين غربيين اثنين. التطور الأول: حركة الإصلاح البروتستانتية التي ثارت في القرن السادس عشر على الكنيسة الكاثوليكية ورفضت، فيما رفضت، كل السنن التي سنتها الكنيسة الكاثوليكية واقتصرت على «الكتاب المقدس

الكتاب كبير ويزخر بالمعلومات حول الأسفار المقدسة؛ وهي: التوراة وأسفار العهد القديم بالنسبة إلى اليهودية، والأنجيل وأعمال الرسل بالنسبة إلى النصرانية، والقرآن الكريم بالنسبة إلى الإسلام، إضافة إلى أوستاق زردشت، وفيدا الهندوس، وقوانين ماني، وأسفار البوذية والطاوية وما تفرغ عن بعضها من أسفار أخرى. من تلك الأسفار الأخرى: ملحمتا ماهابهاراتا وراماينا الهنديتين المؤسستين، مع الفيدا، للديانة الهندوسية. تحاول الكاتبة - وهذه فكرة تكررها بطريقة أو بأخرى ومن أول كتابها إلى آخره - أن تقنع القارئ بضرورة مقارنة الأسفار الدينية بعبودية الأجيال السابقة، وليس من خلال الإطار العقلاني المادي الذي نشأ في الغرب بعد عصر التنوير وصار يحاكم كل شيء - بما في ذلك الأسفار الدينية - بالعقل فقط. فالكاتبة ترى أن النصوص الدينية لديانات كثيرة لم تنشأ دفعة واحدة، إنما كانت تقليداً دينياً شفهياً يُعاش واقعاً وحالة تعبير وجداني تبلور وتطور عبر عشرات وربما مئات السنين قبل أن يُدون على الورق. فإذا كان تدوين ذلك التقليد الديني الشفاهي خشية عليه من الضياع وتقنيته لتوحيد أركان الإيمان ضرورياً بالنسبة إلى الديانات المختلفة، فإن التدوين هنا أصبح بمثابة تقييد المعاني المباشرة فقط بهدف حفظها للأجيال اللاحقة. يقتصر التدوين على ضبط المعاني، ويهمل تلك العواطف التي كانت الحواس تعبر عنها عند تعاطي النص أو التقليد الديني شفاهة وواقعاً خلال الطقوس. فبينما كان النص يُعاش واقعاً بالعقل والعاطفة والحواس جميعاً، أصبح - بعد تدوينه وتقنيته - يقارب بالعقل فقط. وكلما كانت المقاربة العقلية مادية جافة - كما هي الحالة عليه في الغرب بعد عصر التنوير - غابت العاطفة الوجدانية وتفاعل الحواس عن عملية القراءة. وكلما غابت العاطفة الوجدانية عن القراءة، خسر القارئ قسطاً كبيراً من الشعور بالنص الديني وفهمه بل وعيسته كما كان الناس يشعرون به ويفهمونه ويعيشونه قبل تدوينه وضبط معانيه على الورق. وبالتالي فإن الكتاب ليس مقدمة في علم الأديان، ولا دراسة مقارنة للأديان، بل يركز - بالتحديد - على النصوص الدينية للديانات العالمية المختلفة كما تقدم، ليس على مضامينها فحسب، بل وعلى طريقة قراءتها ومعاشتها والتعامل معها.

فالبوذية، بوذية ماهايانا، وهي أحد تيارَي البوذية الرئيسيين، تنص على أن قراءة النص الديني المؤسس للديانة البوذية ممكنة فقط تحت إشراف المعلم الروحي من جهة، وأنها - أي القراءة - يجب أن





## لماذا ننام؟ ماثيو ولكر

طلال اليزيدي \*

ليس غريباً أن يكون هذا الكتاب في قائمة الكتب التي يوصي بها بيل جيتس. فهذا الكتاب موسى به من الكثيرين إذا كنت تريد أن تحسن من أسلوب نومك. فالكتاب يشرح عملية عصبية معقدة جداً إلى عموم القراء.

النوم.. وهذا الجزء من الكتاب مثير للاهتمام، ويتحدث عن حقائق في سماح النوم للتعامل مع الضغوطات التي تحدث خلال اليوم وتمكننا من تخطي هذه الضغوطات. الجزء الثالث من الكتاب ركز أيضاً على تأثير قلة النوم على الأداء الرياضي، إلى الحد الذي من الممكن أن يصبح هذا التأثير فيه مستمراً. لذلك؛ فإن أخذ قسط كافٍ من النوم سيساعد في عملية التعافي للرياضيين من الخمول في الأداء.

أما الجزء الأخير من الكتاب، فيعيد النظر في تصحيح أسلوب النوم لدى المجتمعات. فمن وجهة نظر صحية ينصح الكاتب في الجزء الأخير من الكتاب بتجنب الممارسات الباكراة جداً صباحاً. بالأخص للمراهقين؛ لأنهم يملكون نظاماً قلبياً متأخراً، والنهوض في أوقات باكراة جداً قد يؤخر من نموهم الطبيعي لأنهم يحتاجون إلى النوم لساعات أكثر من الأشخاص البالغين. فالمباشرة بالمدرسة من ساعات باكراة جداً، بالأخص في الولايات المتحدة وبعض الدول الأخرى حيث تبدأ المدرسة قبل ٧:٢٠ صباحاً، تؤثر سلبياً على الصحة النفسية والعقلية للمراهقين. فهناك إثباتات علمية في غاية الجدية تشير إلى أن نقص النوم من الأسباب الرئيسية المسببة لنشوب الكآبة والشيذوفرنيا.

من الناحية الطبيعية، الميول البشري إلى النوم ينقسم إلى قسمين؛ يعرف علمياً بـ (chronotypes)، ويُترجم حرفياً إلى «نوع التزامن النومي»، النوم عند البشر إما أن يتزامن مساءً وهو النوع الطبيعي، أو يتزامن في فترة النهار، وكلا النوعين يعمل على نوعين مختلفين من الخطوط الإيقاعية

هذا الكتاب يتحدث ولكر كعالم مختص، ويبسط العلوم المعقدة إلى عموم القراء. هذا الكتاب يختلف عن العديد من الكتب التي تتحدث عن النوم، يعتبر من أفضل الكتب حتى الآن في استكشاف وسرد العلم المتعلق بحاجتنا إلى النوم. الكتاب ينقسم إلى أربعة أجزاء رئيسية، كل جزء يحتوي ما بين الثلاث إلى خمسة وحدات.

الجزء الأول من الكتاب يستطرد بشرح ماهية النوم، وكيف تطوّر مع جنس البشر، وعن الآلية البيولوجية للنوم. الجزء الأول من الكتاب مثير جداً؛ لأنه يكشف جوانب علمية عن النوم لم يتعرض لها معظم القراء قبل قارئتهم للكتاب. فمعظم القراء يقدرّون النوم من وجهة نظر الأداء الرياضي والتركيز العقلي، فليلاً هادئة من النوم تساعد جداً قبل منافسة رياضية أو منافسة تتطلب التركيز. لكن معظم القراء يجهلون العديد من الجوانب العلمية التي يعرضها الكتاب تتعلق ببيولوجية النوم، فوضع هذه المعلومات العلمية التي بالعادة تكون فقط في متناول الباحثين والمتخصصين في هذا الكتاب المتوفر للعامة، يُمكن القراء من معرفة حقيقة النوم والتعامل معه. الجزء الثاني من الكتاب يجيب عن التساؤل الرئيسي وهو: «لماذا ننام؟». هذا الجزء قد يكون مألوفاً لمعظم القراء؛ حيث يسرد الأضرار الصحية الناتجة عن قلة النوم، أو النوم غير الصحي. لكن الشيء المثير للاهتمام في هذا الجزء هو تأثير قلة النوم على العقل، بالتحديد تأثيره على التفكير، والتركيز، والتعلم، والإبداع، وحل المشكلات بطريقة فعالة.

الجزء الثالث من الكتاب يركز على الحلم أثناء

عنوان كتاب ولكر إلى حد ما مضلل مثلما رجح هو في الصفحات الأولى من الكتاب، فالعنوان نوعاً ما يلمح إلى أنه من الممكن أن يكون هنالك سبب واحد للنوم. وفي الحقيقة، ماثيو قدم النوم كعلاج للعديد من الحالات المحيرة التي بدورها تتسبب في تدهور الصحة الجسدية والعقلية. فافتتح ولكر كتابه بقوله «عالم في مجال علوم الأعصاب تمكن من التوصل إلى طريقة ثورية من أن يصبح المرء ذكياً، وجذاباً، وصحياً، وبعيداً عن أمراض السرطان، هذا الاكتشاف الثوري يتعلق بليلة جيدة من النوم». واستطرد أيضاً في فقرة من الصفحات الأولى، فوصف ماثيو النوم وكأنه يسوق إلى علاج جديد: «العلماء اكتشفوا علاجاً ثورياً يمكنك من العيش فترة أطول، يصحح من قوه ذاكرتك، ويجعلك أكثر جاذبية، يساعدك على تخفيف الوزن وتقليل الشهية، هذا العلاج يحميك من السرطان وفقدان الذاكرة، يقي من البرد والإنفلونزا، ويقلل من خطورة إصابتك بأمراض القلب والسكتات القلبية، وكذلك يساعد على التقليل من أعراض مرض السكر، ويساعدك على الشعور بالسعادة، ويقلل من آثار الكآبة، ويقلل من التوتر.. فهل أنت مهتم بهذا العلاج».

إحدى نقاط القوة لدى الكتاب أنه وبكل وضوح يبين الآثار السلبية التي يسببها الجهل عن الغاية المعقدة والمهمة من دور النوم في حياتنا، والصعوبات التي يواجهها العديد من الناس من التمكن من الحصول على قسط مناسب من النوم.

ماثيو ولكر عالم في علوم الجهاز العصبي والسيكولوجيا في جامعه كاليفورنيا، يركز في أبحاثه على النوم وتأثيره على صحة الإنسان. ففي



غيرت قولي.. النوم أكثر من عمود، هذا هو الأساس الذي يجلس عليه كل من النظام الغذائي وممارسه الرياضة؛ فإذا تضرر حجر الأساس النوم، أو ضعف قليلاً، أصبح تناول الطعام أو التمرين البدني أقل فاعلية».

ولكر يشرح في أفضل حالاته وظائف النوم، وعلى الرغم من أنه لا يزال أمامنا طريق طويل لفهم جميع آثار النوم. ولكر شرح باستعارة للنحت كيف أن نوم حركة العين السريعة (REM) ونوم حركة العين غير السريعة (NREM) ضروريان للذاكرة NREM الذي يسود في بداية النوم، وصفه وكأنه ينقل مجموعات الطين (مجموعه الذكريات المتعلمة خلال اليوم) ثم نوم REM، الذي يسود لاحقاً، ينقي ويشكل الطين لصنع الذكريات.

الكتاب تمكن من إلقاء الضوء على الأهمية الخاصة للأحلام وليس فقط نوم REM الذي تحدث فيه هذه الأحلام؛ فأظهرت التجارب العلمية أن الأحلام لها وظائف علاجية وحل المشكلات ووظائف إبداعية.

الكتاب يُعالج مشكلة وبائية، وولكر يؤكد أن قلة النوم هي مشكلتنا الرئيسية للصحة العامة. أعتقد أن أي شخص يقرأ كتابه سيكون مقتنعاً بأهمية النوم، وسيحرص على بذل كل ما في وسعه للحصول على ثماني ساعات من النوم في الليلة، ولكن هنالك العديد من القوى -بما في ذلك عادات ومتطلبات العمل، والضوء الكهربائي، والضجيج، والأدوات الإلكترونية (خاصة تلك المدعومة بأضواء زرقاء)، والكافيين، والترفيه الجماعي، والثقافة العامة التي لا تدرك أهمية النوم- تعمل ضد الحصول على ثماني ساعات من النوم كل ليلة.

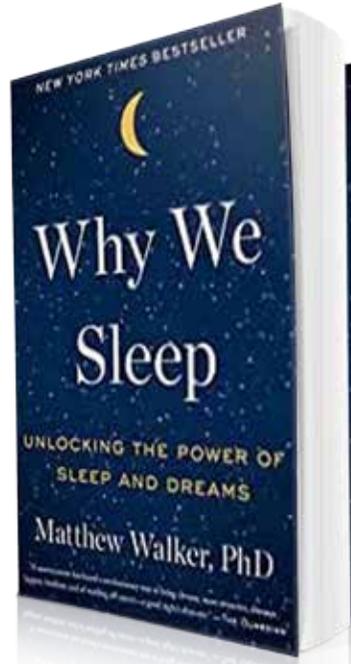
• الكتاب: "لماذا ننام؟".

• المؤلف: ماثيو والكر.

• الناشر: Scribner، بالإنجليزية، 2018م.

• عدد الصفحات: 368 صفحة.

\* كاتب عُمانى



الأمر إلى فقدان الذاكرة، وقد يرجع ذلك إلى قلة ساعات نومهما أثناء فترات العمل. ولكر أشار إلى أن الأشخاص الذين لا ينامون المعدل الطبيعي من النوم ولا يتعرضون إلى آثار مستقبلية هم في الحقيقة قلة نادرة.

وذكر ولكر في كتابه بطريقة يحاكي فيها طبيب أطفال يتحدث إلى والدي طفل مولود حديثاً: «من هذه اللحظة فصاعداً، وبقيّة حياة طفلك بأكملها، سيقع مراراً وتكراراً في حالة من غيبوبة واضحة. قد يشبه الموت في بعض الأحيان. وبينما لا يزال جسده مستقرًا، فغالباً ما يمتلئ عقله بالهلوسة الغريبة المذهلة. تستهلك هذه الحالة ثلث حياته وليس لدي أي فكرة على الإطلاق لماذا سيفعل ذلك، حظاً طيباً وفقك الله!».

يجعلنا ولكر في كتابه نؤمن بأن هذه الحالة الغريبة يجب أن تكون لها بعض الوظائف الحيوية المهمة، وفي نفس الوقت يستنكر إيلاء مهنة الطب القليل من الاهتمام بأهمية النوم. فالتب على الرغم من تركيزه على المرض والخلل، أهمل أيضاً -إلى درجة ما- أهمية النظام الغذائي والنشاط البدني. كذلك أيضاً من وجهة نظر ولكر قلة من الأطباء يصفون النوم على أنه ركيزة للصحة الجيدة، لكن وكر يذهب إلى أبعد من ذلك: «لقد كنت مغرماً بقول: النوم هو الركيزة الثالثة للصحة الجيدة، إلى جانب النظام الغذائي وممارسة الرياضة، لكن

(circadian lines)، و من هذا الجانب لا يستطيع المائلون إلى نوم النهار تغيير تزامنهم النومي ليصبح مساءً. في الحقيقة ذلك حظٌ سيئٌ لأن معظم المدارس والمؤسسات تعتمد على المستيقظين باكراً، وماثيو أوضح أن النظام الحياتي المعتمد على الاستيقاظ باكراً يسبب بعض العقد الصحية للبشر المتزامنين صباحياً في فترة النوم، وهذا النوع بالتحديد يصاب بالأرق لعدم تمكنهم طبيعياً من النوم مساءً. لسوء الحظ هذا النوع يكون عرضة للاكتئاب، والتوتر، وأمراض السكر، والسرطان، وارتفاع ضغط الدم، وضعف الذاكرة، وأمراض القلب كالسكتات القلبية.

علم الأحياء يتعلق في نهاية المطاف بالتطور؛ فالبشر تطوروا على مدى مليوني سنة لنوم ثماني ساعات في الليلة. ويقدم ولكر دليلاً من البشر الأوائل (الصيادين-الجامعين) حول كيفية نومهم ثماني ساعات في الليلة، على الرغم من أن نومهم يكون غالباً في جزأين. فكل الحيوانات تنام لكن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يختار دورياً بأن يقلل من المدة الزمنية المتطلبية للنوم. في الحقيقة الكثير من البشر يتجاهلون الحاجة البيولوجية الملحة لمقابلة المدة الأقصى التي يحتاجها الجسم من النوم.

نقطة الجدول الرئيسية لولكر في الكتاب هي تحديات الصحة العامة بالأخص في الدول المتقدمة؛ حيث يحتاج الفرد على الأقل من سبع إلى ثمان ساعات من النوم في كل ليلة. تلك المدة الزمنية من النوم مهمة جداً لأن مثل ما ذكر سابقاً قلة النوم تؤثر على الفاعلية الكلية للجسم والدماغ. وأوضح ولكر في كتابه أن قلة النوم لا يمكن أن تعوض، فالنوم الطويل في عطلة نهاية الأسبوع لن يغير التأثير السلبي الذي يسببه قلة النوم خلال الأسبوع. الأسوأ من ذلك هو أن مجتمعنا ينظر إلى النوم وكثرته بطريقة مدمومة، وفي نفس الوقت يقدر ويرفع من شأن بعض الأشخاص الذين يلجؤون لساعات قليلة من النوم من أربع إلى خمس ساعات كرئيسة وزراء بريطانيا السابقة مارجريت ثاتشير، والرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغن. وأشار ولكر في كتابه إلى أن الاثنين انتهى بهما

# إصدارات عالمية جديدة

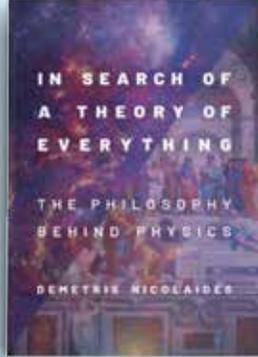
آخر الإصدارات الفلسفية باللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)

الكتاب: في البحث عن نظرية كل شيء: الفلسفة وراء الفيزياء

المؤلف: ديمتريس نيكولايديس

دار النشر: مطابع جامعة أوكسفورد

سنة النشر: 2020



منذ أمد والفلاسفة وعلماء الفيزياء يحلمون بتحصيل نظرية جامعة تفسر الكون بمبادئ بسيطة. ومما زاد هذا الأمر ملحاوية انقسام الفيزياء المعاصرة إلى "قارتين" واحدة خاصة بالعالم المتناهي الكبر (فيزياء النسبية) والأخرى بالعالم المتناهي الصغر (فيزياء الكوانتا)، وبينهما فج عميق في تصور المادة والحركة وغيرها. وقد بلغ هذا التباين سنامه في المناظرة التي جرت بين إينشتاين وبوهر. قال الأول، وقد رفض ما أنته إلى فيزياء العالم المتناهي الصغر من طعن في السببية: "إن الرب ليس يلعب النرد"، وأجاب الثاني: "لكن ليس لك أن تملي على الرب ما الذي ينبغي عليه أن يفعل". في هذا الكتاب يسعى عالم الفيزياء النظرية ديمتريس نيكولايديس إلى إيجاد النظرية الجامعة التي تفسر الكون عبر قانون واحد. والعجيب أنه لا يتوقف عند المحدثين وحدهم، بل يعود إلى القدماء أيضاً، مبرزاً أنّ النظريات، وإن علتها مسحة شيخوخة، فهي لا تموت أبد الدهر. وتلك مهمة صعبة لكنها ليست مستحيلة.

الكتاب: فن الفلسفة الصينية:

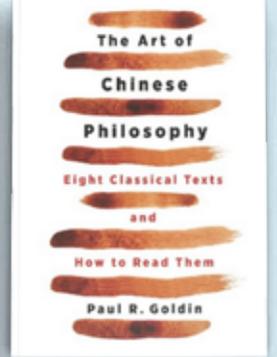
ثمانية نصوص كلاسيكية وكيف

يُمكن قراءتها

المؤلف: بول جولدين

دار النشر: مطابع جامعة برينستون

سنة النشر: 2020



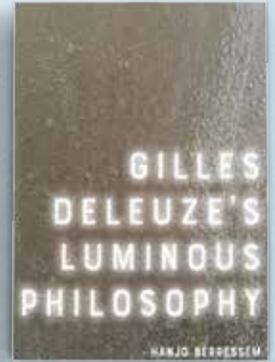
أضحى مبحث الفلسفة العابرة للثقافات أحد أنشط مباحث الفلسفة المعاصرة. وقد تمت مراجعة النظر في مزاعم فلاسفة الغرب، على نحو ما كان قد ذهب إليه الفيلسوف الجرمانى مارتن هايدجر منذ أزيد من ثلثي قرن، من أنّ الفلسفة لا تنطق إلا بلغتين: الإغريقية القديمة والألمانية الحديثة. وها هي الفلسفة أمست تنطق بمختلف لغات الشعوب. وها هي تنطق بالصينية. هذا الكتاب عبارة عن مدخل نبيه إلى ثمانية فلاسفة صينيين: كونفشيوس، موزي، مانسيوس، لاوزي، زوانجزي، سونزي، كسونزي، هان فايزي. وهو بقلم أحد أكبر المتخصصين الغربيين في تاريخ الفلسفة الصينية؛ إذ عمد إلى وضع هؤلاء الفلاسفة في سياقهم، ولخص أفكارهم في مجالي الميتافيزيقا وفلسفة القيم؛ وأكثر من هذا حاول توضيح أهم مفاهيم الفلسفة الصينية تمنعا عن الترجمة. وذلك كله في انتظار نقل عربي مباشر لنصوص الحكمة والفلسفة الصينيتين ترجمة تكون عن الرأس كما يقول القدماء؛ أي عن الأصل، وليس ترجمة عن الترجمة؛ أي عبر وساطة لغة أخرى.

المؤلف: هانجو بيريسيم

سنة النشر: 2020

الكتاب: فلسفة جيل دولوز النورانية

دار النشر: مطابع جامعة إدنبرة



حسبنا أن زمن "الفلسفات النورانية" - شأن الفلسفة النورانية عند السهروردي - كان زمنا خاصا بالشرق، وأنه، بعد أن خبت جذوة الشرق وانتهى فلاسفة الإسلام الكلاسيكيين، ما قامت لفلسفة النور أية قائمة. لكن يُفاجئنا هذا الكتاب بانبعثت فلسفة نورانية في الغرب، هي فلسفة الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز. عرفت عن جيل دولوز فلسفته "المحايشة" التي تنطلق من "الداخل"/"داخل العالم لا من "الخارج"/"خارج العالم، واعتدنا أن نتصور دوما أن النور والنورانية يأتيان من الخارج، لكن المؤلف ينبهنا إلى أن جيل دولوز لطالما كان يردد القول: "إن سطح المحايشة لهو دوما سطح قد قُد من نور"، ولذلك لا غرابة أن يهتم دولوز بفلسفة السينما - التي هي نور منبعث من الشاشة - في كتابيه الشهيرين عنها، متحدثاً عن "خط النور" باعتباره "خط انفلات". وقد حاول المؤلف تجميع عناصر نورانية فلسفة دولوز لا من النصوص الفلسفية الصارمة، وإنما من نصوصه الباذخة في الأدب والرسم والسينما.

# إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

الكتاب: هل يجب الخوف من سكان العالم؟  
المؤلف: جاك فيرون  
الناشر: دار سوي. فرنسا.  
سنة النشر: 2020  
عدد الصفحات: 272 صفحة



هل يجب أن نخاف من سكان العالم؟ سؤال إشكالي يكشف معضلة النمو الديموغرافية وتأثيره على المجالات البيئية وما قد ينتظر سكان العالم في المستقبل القريب. وفقاً للكاتب الأسباب مبررة وأكيدة: المناخ يتغير، والتلوث يتزايد، الغابات تُدمر، والضغط على الأرض أكبر من أي وقت مضى ... هل هذا نتيجة للنمو السكاني السريع للغاية على نطاق عالمي؟ وللتقليل من الضغط البيئي، هل يكفي أن يستقر عدد سكان العالم أم يجب أن يتقلص بشكل قطعي؟ من الواضح أن الإجابة صعبة والحلول قليلة. وإذن ما العمل؟ يقدم الكاتب والأكاديمي جاك فيرون (ديموغرافي، متخصص في العلاقات بين السكان والبيئة، وهو مدير أبحاث فخري في المعهد الوطني للدراسات الديموغرافية) وبطريقة تعليمية أجوبة عن جميع الأسئلة الديموغرافية على صعيد العالم مفككا كل الكليشيهات المبسطة أو المطمئنة أو المهددة التي تسري كالنار في الهشيم من خلال سياسات واستراتيجيات غير مسؤولة. هذا كتاب مهم لتكوين رأي شخصي حول إمكانيات التصالح بين الكائنات البشرية والبيئة والتنمية الاقتصادية لتفادي أخطار وشيكة وجسيمة تتهدد الأرض بشكل متزايد.

الكتاب: صناعة المنافسة  
المؤلف: كتاب جماعي  
الناشر: دار لاديكوفيرت. فرنسا  
سنة النشر: 2020  
عدد الصفحات: 262 صفحة



رغم الثناء الكبير على مزاياها، إلا أن المنافسة الاقتصادية صارت اليوم موضع تساؤل داخل عوالمها المتمثلة في الأسواق التجارية. تدعي الشركات الرقمية الكبرى أن هناك شبه احتكار للنموذج الاتحادي الأوروبي في "المنافسة الحرة وغير المزيفة" التي تواجه تحديات التكنولوجيا الرقمية والمشاريع الحمائية ... هل أفلست المنافسة؟ لا شيء مؤكد، لأنه من الواضح أنها تمتد الآن إلى مجالات أخرى من الحياة الاجتماعية، وعلى وجه التحديد إلى المجالات التي كنا نعتقد أنها محصنة ضد أي شكل من أشكال المنافسة، مثل الصحة والتعليم. إذن إلى أي مدى ستذهب المنافسة؟ يلقي هذا الكتاب الدوري الهام نظرة معمقة على المصالح السياسية والأيدولوجية وراء المنافسة. من خلال عدد من وجهات النظر حول الاقتصاد لمجموعة من الاقتصاديين وعلماء الاجتماع والمؤرخين المرموقين والهدف إعادة تحليل مفهوم المنافسة، لإظهار قواعدها ومبادئها ومؤسساتها، والطريقة الوحيدة لفهم مزاياها، وتحدي تجاوزاتها المعلنة وغير المعلنة للسيطرة على مخاطرها وجعلها في خدمة التطور الاقتصادي والاجتماعي.

الكتاب: الشرق الأوسط والعالم: الوضع العالمي في 2021 المؤلف: برتراند بادي ودومينيك فيدال  
الناشر: دار لاديكوفيرت. فرنسا  
سنة النشر: 2020  
عدد الصفحات: 260 صفحة

بين "الشرق الأوسط" الذي يبدو أنه يميل إلى نوع من الاندماج والمصالحة و "الشرق الأقصى"، الخصم المحتمل للغرب المهيمن، يظهر الشرق الأوسط كحلقة متمردة وهامشية وفضاء لمواجهة دائمة. من المسلم به أن هذه المنطقة الاستثنائية لها تاريخ خاص بها، وديناميكية قوية مرتبطة بكثافتها الاجتماعية وماضيها، لكنها لم تتوقف أبداً عن كونها رهينة لعبة دولية تبلبل استقرارها، منذ قرون، تارة باسم المذاهب والمعتقدات، وتارة أخرى بسبب طموح الغزاة، وفي أحيان قريبة جداً طمعاً في ثرواتها أو ببساطة بسبب سياساتها المعارضة لاستراتيجيات القوى القديمة. هذه التفاعلات تتجدد باستمرار، مما يؤدي إلى تحليل دولي مغاير للشرق الأوسط. إذا كانت التحولات تعكس فزع وعجز مقلدي السير مارك سايكس وفرانسوا جورج بيكو، فإنها تظهر أيضاً أن التجديد الحالي للشرق الأوسط يعكس ما يحدث في العالم كله. بعد استعادة تشكيل هذه "التضاريس الوعرة"، من القرن التاسع عشر إلى اليوم، بما في ذلك زلزال إنشاء إسرائيل وأزمة النفط والثورة الإيرانية، يسلط المؤلفان البارزان برتراند بادي ودومينيك فيدال الضوء على الجهات الفاعلة الرئيسية - دون نسيان الوباء كوفيد-19 في الصراعات الكبيرة التي جعلت من الشرق الأوسط معاصر مسرحاً لحداد دائم، بحيث ألفت أحداثها المؤلمة بدءاً (من المأساة الفلسطينية التي لا نهاية لها إلى الحروب السورية والعراقية والأفغانية واليمنية الرهيبة)، بظلال سميكة من الحزن والإحباط والشك تخرج القوى الدولية والإقليمية، وتلقي بتداعياتها المأساوية على جميع دول المنطقة.



## مجلة التفاهم

عنوان العدد: الفرد والجماعة ومشكلات الاختلال العالمي

عبدالرحمن السالمي

### آفاق

- المؤلف الإنساني ونقد سياسات الهوية  
طارق متري
- إسهام لاهوت الأديان في بناء المؤلف الإنساني  
عز الدين عناية
- المؤلف الإنساني: رؤية كونية  
محمد الشيخ
- القيمة والحق وتداولية المؤلف الإنساني  
رضوان السيد

### المحاور

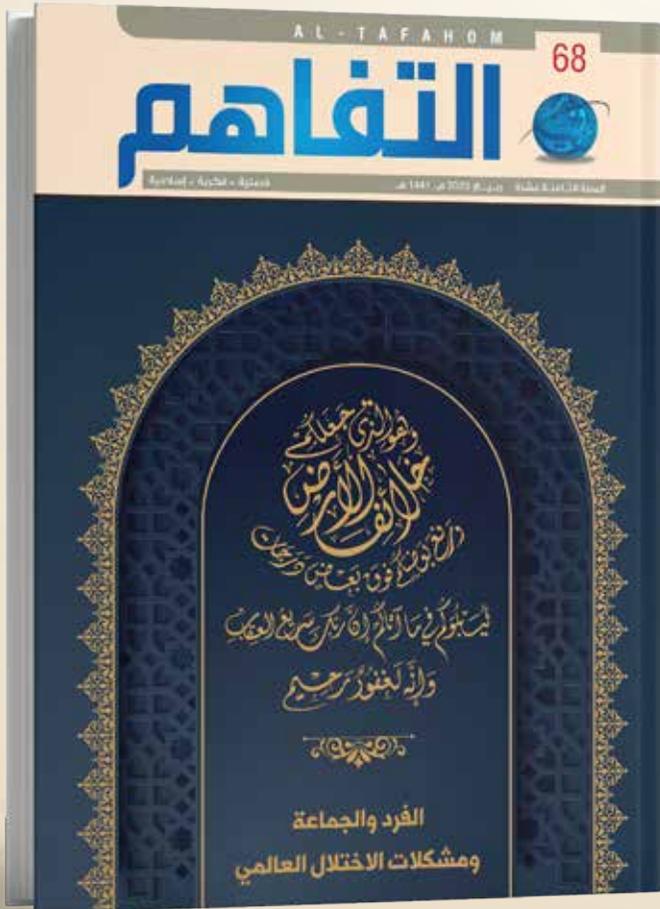
- الإنسان والكون والاستخلاف في القرآن الكريم نحو رؤية إسلامية متوازنة  
عبد المالك أشهبون
- الرؤى اليونانية للعالم ومنزلة الإنسان  
عبد الرزاق بلعقروز
- الإتيقي والسياسي في الفلسفة اليونانية  
معز مديوني
- حالة الأزمة في العالم المعاصر وإلى أين يتجه العالم والإنسان؟  
فتحي المسكيني
- الإنسان والعالم: تصوّرات الفلاسفة المعاصرين (مارتن هايدغر، غونتر أندرز، بيتر سلوتردايك) - محمد الشيخ
- نظريات التنمية وأسباب التأزم: دراسة نقدية  
عبد السلام نوير
- إشكاليات الدّين والعلمانية والدولة المعاصرة في ضوء جديد  
رضوان السيد
- ما بين الهوية والشعبوية: جدل الهبوط والصعود في قيم الانتماء في العالم المعاصر - أحمد زايد
- الدولة - الأمة؛ قضاياها وتحولاتها المعاصرة  
محمد نور الدين أفاية

### دراسات

- المعرفة والتراث العلمي في الإسلام ما قبل الحديث: إرث فكري في مجال التقاطع بين التعليم والدّين - سيباستيان غونتر
- مسألة العدالة عند الفارابي وأبي الوليد بن رشد: دور النفس في القول الفلسفي العذّل - يوسف بن عدي

### وجهات نظر

- مقد الإغاثة في الإسلام: نظرة في المقوّمات والأسس - محمد المنتار
- العلمانية: مخاض التاريخ ورؤى الحاضر والمستقبل - براق زكريّا



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها

مجلة التفاهم هاتف: 24644031 - 24644032 +968 , فاكس: +968 24605799

البريد الإلكتروني: www.alfahom.net - al.tafahom@gmail.com - tafahom@gmail.com